قصّة البازي الأشهب
بين
الإمام الجواد (ع) والمأمون العباسي

حوار وإعجاز

الشيخ أمين حبيب آل درويش

دار المحجة البيضاء

قصّة البازي الأشهب
بين
الإمام الجواد (ع) والمأمون العباسي

حوار وإعجاز

الشيخ أمين حبيب آل درويش

دار المحجة البيضاء

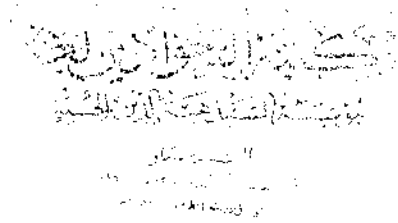

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

الإهـــداء

إلى معجزة الإمـامة المبـاركة

إلى شبيه موسى ابن عـمـران فـالق البحـار (ع)

الى شبيه عيسى ابن مـريـم (ع)

إلى عـزيـز إمـامنـا الـرضـا (ع)

إلى خـيـر مولـد وأعظـم بـركة على شيعـة

إلى بـاب المـراد إمـامنـا الجواد (ع)

ارفع إلى سـاحـة قـدسك هـذا المجهود القليل ، آمـلاً التفضل بـالقبول ، وشفـاعتك في اليوم المهول . . .

خـادمك

أمـين آل درويش

إشراقة البحث

- الموضوع ودوافع إختياره
- أهمية البحث
- تساؤلات البحث
- منهج واسلوب البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد آله الطاهرين، وبعد.

الموضوع ودوافع إختياره:

فُضِّل الإنسان على غيره من المخلوقات، بما أودع فيه من فطرة سليمة، يقودها عقل سليم، يأخذ به إلى شرف الدارين - الدنيا والآخرة -، ولا يتحقق ذلك إلا عن طريق المحافظة علي هذه الفطرة، التي أكد عليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

وإن إختلفت الآراء في تفسيرها - حيث فسرت بـ (التوحيد، والمعرفة به، والإسلام، والولاية، ونحو ذلك) - إلاّ أنّها تؤدي إلى نتيجة وهدف واحد. ويمكن إيضاحه من خلال ما يلي:

إنّ الإنسان مجهّز في وجوده بما يناسب غايته من التجهيز، فالإنسان كسائر الأنواع المخلوقة مفطور بفطرة تهديه إلى تتميم نواقصه ورفع حوائجه، وتهتف له بما ينفعه وما يضرّه في حياته، وإلى هذا أشار قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ٧ - ٨].

وهو مع ذلك مجهز بما يتمّ له أن يقصده من العمل، وإلى هذا أشار قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ﴾ [عبس: ٢٠].

إذن، فالإنسان الفطري الذي لم تفسده الأوهام الفكرية، والأوهام النفسانية، هو أقرب لتقبل أصول العقائد الحقّة ، وكليات الشرائع الإلهية؛ لأنّه يعيش ببعث وتحريك فطرته ، وخصوص خلقته، أما الإهتداء والأخذ بهذه العقائد وتفاصيل الشرائع الإلهية؛ فيتوقف على هداية إلهية من طريق النبوة، وإلى هذا أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته المعروفة بـ (صفة خلق آدم (عليه السلام))، بقوله: «وواتر إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويُذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول»[1].

أي أنّ الإنسان كائن حَيٌّ مُزوّد بالعقل ، وما فيه من جواهر الأفكار ونتائجها، ولكن يحتاج إلى من يدلّه عليها لمعرفة إستخدامها في التوجّه إلى خالقها المبدع، المستحقّ للعبادة والشكر، فأرسل الأنبياء واحداً بعد آخر لتحقيق الهدف، ولما كان الأنبياء(عليهم السلام) هم الأصل في إستخراج تلك الجواهر لإعداد النفوس لاظهارها ؛ حَسُن إضافة إثارتها إليهم ، فعبّر(عليه السلام) بـ «ويثيروا لهم دفائن العقول». إذن، بعد هذا الإيضاح؛ توصلنا إلى أنّ معنى الفطرة في الإنسان: هي الإعتراف بالله لا شريك له. بما يجد من الحاجة إلى الأسباب المحتاجه إلى ماوراءها؛ وهو التوحيد. وبما يجد من النقص المحوج إلى دين يدين به ليكمله؛ وهو النبوة. وبما يجد من الحاجة إلى الدخل في ولاية الله بتنظيم العمل بالدين؛ وهو الولاية. وقد أوضح أهمية الولاية إمامنا الباقر(عليه

---

١ - عبده ، الشيخ محمد : شرح نهج البلاغة ، ج١/ ٢٣ .

السلام) بقوله: «... فإنّ الولاية وصاحبها مفتاح معالم الدين - أصوله وفروعه-، وهو الدليل عليها، وبهم عُرِفَ الله وعُبِدَ اللّه؛ فكان كلها الولاية «كُلُّ الصيد في جوف الفرا[٢]»[٣].

وبعد معرفة أهمية الولاية وصاحبها بالنسبة إلى معالم الدين، باعتبارها مفتاح ذلك ؛ ينبغي طرح هذا السؤال:

كيف نصل إلى الولاية ونتمسك بها؟

إنّ من مظاهر الوصول إلى ذلك؛ هو تتبع آثارهم للأخذ بها، وذلك عن طريق رواة حديثهم، وقد أرشدنا إلى ذلك العلماء الذين هم طريقنا إلى معرفتهم ومعرفة رواتهم، فقد أتعبوا أنفسهم الشريفة في حفظ تراثهم ودراسته وتحقيقه، باستخدام العلوم المرتبطة بذلك، كعلوم: العربية والكلام، والفقه، والأصول، والحديث ونحو ذلك. ولعلّ أهم الموسوعات المتضمنة لتراث أهل البيت(عليهم السلام) هي التالي:

١ - الكافي (١ - ٨): للشيخ محمّد بن يعقوب الكليني، المتوفى سنة (٣٢٨هـ).

٢ - من لا يحضره الفقيه (١ - ٤): للشيخ محمّد بن علي القمي، المعروف بـ (الصدوق)، المتوفى سنة (٣٨١هـ).

٣ - تهذيب الأحكام (١- ١٠).

---

٢ - أصل هذا المثل ، أن قوماً خرجوا للصيد فصاد أحدهم ظبياً ، وآخر أرنباً ، وآخر فراً – وهو الحمار الوحشي – فقال لأصحابه : كل الصيد في جوف الفراء . يضرب لمن يفضل على أقرانه .

٣ - النمازي ، الشيخ علي : مستدرك سفينة البحار ، ج٨ / ٢٣٨ .

٤ - الإستبصار (١ - ٤). وهما للشيخ محمّد بن الحسن الطوسي، المعروف بـ (شيخ الطائفة) المتوفى سنة (٤٦٠ هـ).

٥ - الوافي (١ - ٢٦)، للشيخ محمّد محسن، المعروف بـ (الفيض الكاشاني)، المتوفى سنة (١٠٩١ هـ).

٦ - وسائل الشيعة (١ - ٣٠)، للشيخ محمّد بن الحسن، المعروف بـ (الحرّ العاملي)، المتوفى سنة (١١٠٤ هـ).

٧ - بحار الأنوار (١ - ١١٠)، للشيخ محمد باقر المجلسي، المتوفى سنة (١١١١هـ).

٨ - مستدرك وسائل الشيعة (١ - ١٨)، للشيخ ميرزا حسين النوري، المتوفى سنة (١٣٢٠ هـ).

٩ - جامع أحاديث الشيعة (١ - ٣١)، للسيد حسين البروجردي، المتوفى سنة (١٣٨٠ هـ).

ولذا ينبغي للمرشدين من الفضلاء والخطباء والكُتّاب، أن يوصلوا هذه الآثار إلى المجتمع باسلوب واضح - خصوصاً في هذا العصر المليء بالشبهات التي غزت عقول الشباب - ، وأفضل الأساليب ما نهجه النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، فقد رُوي عنه: (إنّا معاشر الأنبياء، أمرنا أن نُكلّم النّاس على قدر عقولهم)[٤].

فلإختلاف الأزمنة والعقول ، نحتاج في عرض هذه النصوص إلى إسلوب وقدرة علمية لفهم الروايات وإيضاحها للناس، ولذا من أهم المشكلات التي

---

٤ - الكليني ، الشيخ محمد بن يعقوب : الأصول من الكافي ، ج١/ ٢٣ (كتاب العقل والجهل - حديث ١٥) .

نعانيها في هذا العصر، مشكلة فهم النص وطريقة عرضه، حيث كثرت الأسئلة حول ما يطرح من نصوص أهل البيت (عليهم السلام) في الكتب والمحاضرات، وما ترتب على ذلك من التخبط لدى القارئ والمستمع، حيث يقول: هذه الرواية ضعيفة! هذا لا يتناسب مع منطق العقل! وبهذا يحصل التشكيك في روايات أهل البيت (عليهم السلام)، فيتحقق الإنحراف العقائدي والعياذ بالله.

إذن، فالمسؤولية ملقاة على رموز الإرشاد ونشر الوعي الديني، حيث أنّ صاحب هذا المسؤولية، هو لسان الشرع وترجمان النَصّ، وهو المتأسي في سلوكه بالنبي الأعظم محمّد (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الكرام (عليهم السلام)، فوجب أن يكون من أهلها، وأن يتحلى بالمثابة في السلوك والقدوة الصالحة فيما يدعو إليه، فهو كالطبيب المعالج لمرضى الأعضاء، إلاّ أنه معالج للنفوس، فعليه الرعاية الإجتماعية والإقتصادية القائمة على دعائم الإنسانية، حتى لا يبدو فيها أنّها شراء للنفوس، ولا يكون مقصداً بأي وجه من الوجوه ، وعليه إذا كان التأليف غاية من حيث الدعوة، فإنّه يجب أن يكون الباعث إنسانياً دينياً محبباً في الإسلام وليس إتجاراً . وأن لا يقنع بمؤهله العلمي ، وإنّما يديم الإطلاع والدراسة للإستزادة من العلم والتفقه ومتابعه الأحداث ؛ ليتمكن من مواجهة ما يُلقى عليه من أسئلة خلال لقاءاته وندواته، وأن يستخدم أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، وأساليب الإقناع التي تصل إلى القلوب، بضرب الأمثال والإستشهاد بمواقف الأبرار، ونحو ذلك من الأساليب العصرية المؤثرة في إيصال معالم الدين وتشريعاته إلى المجتمع والأفراد، والأخذ بأيديهم إلى ساحل الأمان، وهذا ما نسمو إليه من الإجابة الواضحة، على الأسئلة الواردة إلينا من

الشباب، وهو موضوع بحثنا المسمى بـ (قصة الباز الأشهب بين الإمام الجواد والمأمون).

ولعلّ أهمّ الدوافع التي دفعتني لذلك هي التالي:

١- ما أسمعه كثيراً من عامة الناس من التهجم على عموم الفضلاء والخطباء، في عدم إيضاح روايات أهل البيت (عليهم السلام)، ونقلهم للخرافات والروايات الضعيفة.

٢ - كثرت الأسئلة الملفتة للنظر حول الروايات، وما يترتب على ذلك من النظرة السلبية للمعتقدات الدينية، والنظر إليها بأنّها طقوس موروثة لا قيمة لها.

٣- ما يقوم به المشككون من حرف الناس عن عقائدهم، بواسطة عرض الروايات بوجوه ومعان بعيدة كل البعد عن مضامينها، بحيث تسبب نفرة القارئ أو السامع عن قبولها والأخذ بها .

أهمية البحث:

لعلّ القارئ أو السامع من أوّل وَهْلة، وبادئ ذي بدئ، لا يُصيرها أهمية، بل ينظر إليها كقصة تاريخية عادية لا تَتميّز عن غيرها، إلاّ أنّ الباحث المتأمّل، ينظر إليها بلحاظ واعتبار آخر، حيث تبرز له عِدّة سمات في هذه القصة منها ما يلي :

أولاً- إهتمام المؤرخين بها؛ إذ ذكرت في عشرات المصادر الإسلامية، وسوف نذكر أهم مصادرها من خلال دراسة مصدر رواية القصة .

ثانياً- إهتمام المتكلمين بها، من حيث أنّها معجزة ترتبط بموضوع الإمامة، حيث أنّ الإمام الجواد (عليه السلام) أتى بالمعجزة، وترتّب على ذلك أنّه المأمون العباسي، مع ما يتمتع به من سلطة وبروز في العالم الإسلامي، ومع ما هو عليه من الثقافة ، لم يستطع الوقوف أمام هيبة وعظمة هذا الطفل، بل إستسلم له في محاورته ومجاراته، لمايرتبط به من أخبار غيبية، تكشف عن إمامته وارتباطه بالسماء.

إلى غير ذلك من الجوانب التي يمكن للمتأمل إستنتاجها من هذه القصة، وبهذا إتضحت لنا أهمية هذا الموضوع، واستحق مِنّا بحثه والعناية به.

تساؤلات البحث:

من القضايا التي كثرت حولها الأسئلة في تاريخ الإمام الجواد (عليه السلام)، هي قصة (البازي الأشهب) ، والذي شجعني على إختيارها للبحث والدراسة، هي أسئلة قَدّمها إليَّ الملا علي بن الحاج عبدالله عقيل من أهل الملاّحة، إحدى قرى القطيف، حينما كنت في مجلس أخيه المرحوم الحاج أحمد بن الحاج عبدالله عقيل، في ليلة الإثنين الموافق ١٣ / ١٢ / ١٤٢٥هـ .
والأسئلة التي قَدّمها هي كالتالي:

١- المأمون أشخص الإمام الجواد (عليه السلام) من المدينة إلى بغداد، فلابد أن يكون مع أيد أمينه لا تتركه، فلماذا جاء في هذا الوقت ليكون مع الأطفال بمفرده؟

٢ – لماذا بقي مع الأطفال هذه الفترة الطويلة، حيث أنّ موكب المأمون يحتاج إلى وقت، وأيضاً البازي بقي ساعة في الجوّ؟

٣ – هذا لا يتناسب مع مقام الإمام (عليه السلام)، أن يبقى مع الأطفال كل هذه المدّة، فهذه الرواية ضعيفة، وهذه مذكورة في كتب العامة؟

هذه بعض الأسئلة المتداولة بين عامة الناس، وهناك بعض منها سيطرح في مكانه المناسب من البحث. وسنجيب عن كل هذه التساؤلات في أثناء البحث، كل في موضعه.

منهج وإسلوب البحث:

قد تناول الكُتّاب والباحثون – أثناء حديثهم عن شخصية الإمام الجواد (عليه السلام) – هذه القصة مع بعض التعليق على محتواها ، وممن إطّلعتُ على أبحاثهم هم التالي:

١ – العلامّة السيد محمّد كاظم القزويني، في كتابه (الإمام الجواد من المهد إلى اللحد).

٢ – الباحث الأستاذ كامل سليمان، في كتابه (محمّد الجواد (عليه السلام) الإمام المعجزة) .

٣ – العلامّة السيّد جعفر مرتضى العاملي، في كتابه (سياسة الإمام الجواد (عليه السلام)).

وهو أكثرهم تناولاً لبحث هذه القصة، إلاّ أنّه لم يتعرض لبقية الجوانب بشكل أشمل، حتى ترتفع أغلب الإشكالات، فقمت بهذا البحث بنحو مُوسّع،

لعلّ أوفق للوصول إلى الهدف المطلوب، والغاية المنشودة، فكان المنهج الـذي إتبعته؛ هو التالي:

البحث الأول – دراسة مصدر رواية القصة، وقد تناول ما يلي:

١ – عرض المصادر.

٢ – نتيجة الدراسة.

البحث الثاني – دراسة نصّ القصة، وتناول ما يلي:

١ – عرض النّص بشكل عام.

٢ – دراسة العناصر الفنية لنّص القصة وهي كالتالي:

أ – الشخصية

ب – الحدث

ج – الحوار

د – المكان والزمان

ثم ختمت ذلك بنتائج البحث. هذا ما أردنا بحثه حول هذه القصة، ولـه الحمد والشكر على نعمائه وتوفيقاته.

أمين بن الحاج حبيب آل درويش

الثلاثاء ٢٩ / ٣ / ١٤٢٩ هـ

البحث الأوّل

دراسة مصدر رواية القِصّة

١ – عرض المصادر

٢ – نتيجة الدراسة

١- عرض المصادر:

ذكرت هذه القصة في عدة مصادر، يمكن تقسيمها إلى ما يلي:

أ- مصادر الشيعة الإمامية:

لعلّ من أهم المصادر الشيعية التي ذكرت هذه القصة ما يلي:

١ – مناقب آل أبي طالب، ج ٤ / ٣٨٨، قم، المطبعة العلمية

للشيخ محمّد بن علي ابن شهر آشوب، المتوفى سنة (٥٨٨ هـ).

٢ – مثير الأحزان في أمناء الرحمن، ج ٢ / ٢٧٢ – ٢٧٣،

للشيخ محمّد بن جعفر بن أبي البقاء، هبة بن نما الحلي، المتوفى سنة (٦٤٥هـ).

٣ – كشف الغمة، ج ٣ / ١٣٥، بيروت، دار الأضواء

للشيخ علي بن عيسى الأربلي، المتوفى سنة (٦٩٣ هـ).

٤ – بحارالأنوار، ج٥٠/٥٦، بيروت، دار الكتاب الإسلامي، ط/١٤١٠هـ .

للشيخ محمّد باقر المجلسي، المتوفى سنة (١١١٠ هـ أو ١١١١ هـ).

٥ – مدينة المعاجز، ج ٤ / ٣٣٧، بيروت، مؤسسة النعمان، ١٤١١ هـ .

للسيد هاشم بن السيد سلمان البحراني، المتوفى سنة (١١٠٧ أو ١١٠٩هـ).

٦ – منتهى الآمال، ج٢/ ٤٢١، بيروت، الدار الإسلامية، ط/١٤١٤هـ .

للشيخ عباس القمي، المتوفى سنة (١٣٥٩ هـ).

٧ – قادتنا كيف نعرفهم؟، ج ٧ / ٢٩، بيروت، مؤسسة أهل البيت(عليهم السلام)، ط ١ / ١٤٠٦ هـ .

للسيد محمّد هادي الميلاني، المتوفى سنة (١٣٩٥ هـ).

ب - مصادر السنة:

ذكرت هذه القصة في عدة مصادر نذكر منها التالي:

١ – مطالب السؤول، ج ٢ / ١٤١، بيروت، مؤسسة أم القرى، ط١/١٤٢٠هـ .

للشيخ كمال الدين محمّد بن طلحة الشافعي، المتوفى سنة (٦٥٢ هـ).

٢ – الفصول المهمة في معرفة الأئمة.

للشيخ نور الدين علي بن محمّد بن الصباغ المالكي، المتوفى سنة (٨٥٥هـ).

٣ – الصواعق المحرقة/٢١٦، القاهرة، مكتبة القاهرة، ط ٢/١٣٨٥هـ).

للمحدّث أحمد بن حجر الهيثمي، المتوفى سنة (٩٧٤ هـ).

٤ – أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ / ١١٠ – ١١٦، بيروت، عالم الكتب، طبع بالأوفست على طبعة بغداد ١٣٨٢ هـ .

للشيخ أحمد بن يوسف القرماني الدمشقي، إنتهى من تأليفه سنة (١٠١٩هـ).

٥ – نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار ٢٤٥ – ٢٤٦، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١ / ١٤١٨ هـ .

للسيد مؤمن بن حسن الشبلنجي الشافعي، إنتهى من تأليفه سنة (١٢٩٠هـ).

٢ - نتيجة الدراسة:

بعد عرض ودراسة هذه المصادر، إتضح لنا ما يلي:

أولا - إنّ أقدم المصادر هي التالي:

١ - مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب.

٢ - مثير الأحزان، لابن نما.

٣ - كشف الغمة، للأربلي. من مؤلفي وعلماء الشيعة الإمامية.

٤ - مطالب السؤول، لابن طلحة الشافعي.

٥ - الفصول المهمة في معرفة الأئمة، لابن الصباغ المالكي.

٦ - الصواعق المحرقة، لابن حجر الهيثمي. من مؤلفي وعلماء السنة.

ثانياً - بعد مراجعة نصوص هذه المصادر؛ تبين أن نسخة مناقب آل أبي طالب، تنفرد عن بقية النسخ الأخرى، ونسخة مثير الأحزان وبقية النسخ متقاربة.

ثالثاً - إنّ هذا المصادر ترجع إلى بعضها البعض في النقل كالتالي.

١ - كشف الغمة ينقل عن مطالب السؤول.

٢ – الصواعق المحرقة، وأخبار الدول، ونور الأبصار، نفس نسخة مطالب السؤول. ومنتهى الآمال ينقل عن مطالب السؤول. وقادتنا كيف نعرفهم، عن نور الأبصار.

٣ – مدينة المعاجز، وبحار الأنوار، عن مناقب آل أبي طالب.

رابعاً – بعد إرجاع هذه المصادر إلى بعضها البعض؛ إتضح لنا أن أهم المصادر ثلاثة : مناقب آل أبي طالب، ومثير الأحزان، ومطالب السؤول.

خامساً – بعد مراجعة هذه المصادر؛ إتضح لنا أنّها من غير إسناد، فهل يمكن الإعتماد عليها أم لا؟

الجواب يتضح بعد بيان ما يلي:

يمكن تقسيم الروايات إلى ثلاثة أقسام كالتالي:

الأول – الرواية في العقائد:

والبحث فيها يتم من خلال الآراء التالية:

١ – المشهور بين متكلمي الشيعة، أنّ العقائد لا تثبت إلاّ بالخبر القطعي، ولا تثبت بالخبر الظني.

٢ – المشهور بين المحدثين من الإمامية، أنّ العقائد يمكن أن تثبت حتى بالخبر الظني المعتد به.

٣ – جَمعٌ من فقهاء الإمامية قديماً وحديثاً – كالشيخ الطوسي، والخواجة نصير الدين الطوسي، والمقدس الأردبيلي، والمحقّق القمي، والشيخ البهائي، والشيخ المجلسي، والمحقق الإصفهاني، والمحقق آقاضيا العراقي، والسيد

الخوئي - ، ذهبوا إلى القول بالتفصيل، فالمعارف والعقائد الأساسية كأصول الدين ونحوها، لابد فيها من الدليل القطعي. والمعارف والعقائد الفرعية مثل كيفية نشأة البرزخ والجنة والنار والقيامة وتفاصيل ذلك، فيمكن إثباتها بالخبر الظني.

الثاني - الرواية في الأحكام الشرعية:

وهي التي يعتمد عليها في إستنباط الأحكام الشرعية، والقاعدة فيها مراجعة الكتب المعتمدة لدى فقهاء الإمامية، البعيدة عن شبهة الدس والتدليس، مع الإعتماد على الموازين والضوابط المعتبرة في حجية الرواية؛ من كونها صحيحة، أو موثقة، أو حسنة. أما الخبر الضعيف إذا إستخرج من كتاب معتبر فلا يهمل ولا يطرح جانباً، بل يُتخذ كقرينة تعضد بقية الروايات؛ لأنّ له قاعدة مسلمة بين الأصوليين والاخباريين وهي: حرمة رَدّه ما لم يتعارض مع الأدلّة القطعية للكتاب والسنة [٥].

الثالث - الرواية في التاريخ:

القصة أو الحدث الواقع في الرواية التاريخية، ضابطتها أن تكون مذكورة في مصدر تاريخي يعتمد عليه بين فئة أو فئات معينة، بحيث لم يظهر من صاحبه التدليس أو إخفاء أو تغيير للحقائق، بحيث أصبح كتابه متداولاً معتمداً عليه في الرواية التاريخية. والكتب التاريخية الغالب فيها عدم ذكر السند أصلاً . وفي علم

---

٥ - ينبغي التفريق بين حرمة رَدّ الخبر وحجية الخبر ، فحرمة رَدّ الخبر تتناول حتى الخبر الضعيف ، والخبر الضعيف في علم الدراية والحديث ، يختلف عن الخبر الموضوع والمدسوس ، واما الذي لم تتوفر فية شرائط الحجية ؛ فلا يقال له مدسوس أو موضوع ، بل يقال له خبر ضعيف .

التاريخ والرواية التاريخية، كلما كان المصدر أقدم؛ كان أثبت وأقوى ، إذن فضابطة الرواية التاريخية أنّها تعتمد على المصادر التاريخية المتداولة ولو كانت متأخرة . غاية ذلك أن الكتب المتقدمة أكثر إعتماداً. ويمكن القول بأنّ الضابطة في علم التاريخ وفي البحث التاريخي هي: أنّ المؤرخ أو الباحث التاريخي لا يعتمد على نقل تاريخي كشيء مُسلّم، بل يحاول من خلال البحث والتنقيب الوصول إلى أقرب شيء يوصله إلى الصحة للأخذ به على نحو الإطمئنان.

إذن ، بعد عرض ودراسة أهم أقسام الرواية؛ إتضح لنا أنها تتفق في الأخذ بها أن لا تكون موضوعة أو بعيدة عن الحقائق ، وتفترق تلك الأقسام بحسب موضوعها . وبهذا إتضح جواب السؤال المذكور. من الإعتماد على الرواية أو القصة التاريخية بهذا الإعتبار.

سادساً – هذه الرواية مذكورة في كتب العامة، فهي ضعيفة لا يُعتمد عليها؟

ليس كل ما هو موجود في كتب العامة ضعيف لا يعتمد عليه، بل المهم في كتب التاريخ سواء كانت شيعية أو سنية أن تكون على حسب الضوابط التي ذكرت في بحث الرواية التاريخية ؛ ولذا نلاحظ أن بعض علماء الإمامية نقلوا عن كتب العامة، وقد ذكرنا في المصادر أن الشيخ الأربلي في «كشف الغمة» نقل عن ابن طلحة الشافعي، والسيد هادي الميلاني في « قادتنا كيف نفرفهم » نقل عن الشبلنجي في «نور الأبصار» . وكذلك بعض علماء العامة نقل عن الإمامية .

البحث الثاني

دراسة نَصّ القِصّة

الفصل الأوّل

عرض النصّ بشكل عام

أ – رواية ابن نما الحلي في (مثير الأحزان)

ب – رواية ابن شهر آشوب في (مناقب آل أبي طالب)

ج – رواية ابن طلحة الشافعي في (مطالب السؤول)

إتضح لنا مما سبق أن أهم مصادر النّص تنحصر في التالي:

أ - رواية ابن نما الحلي في (مثير الأحزان):

«ولما طعن الناس في المأمون واتهموه بقتل الرضا (عليه السلام) ؛ أراد أن يبرء نفسه، فلما شخص من خراسان وقدم بغداد؛ كاتب الجواد (عليه السلام) إلى المدينة يستدعيه في القدوم عليه إلى بغداد معززاً مكرماً، ولما قدم الإمام (عليه السلام) بغداد واتفق أنّ المأمون قبل لقائه، خرج إلى الصيد فاجتاز في طريقٍ والصبيان يلعبون والجواد واقف - وكان عمره أحد عشر سنة - ، فلما أقبل المأمون؛ إنصرف الصبيان هاربين، ووقف الجواد (عليه السلام) مكانه، فقرب منه المأمون ووقف وقال: ياغلام ما منعك من الهرب كما هرب الصبيان؟ فقال الجواد (عليه السلام): يا أمير المؤمنين، لم يكن الطريق ضيق فأوسعه بذهابي، ولم تكن لي جريمة فأخشاها، وظني بك حسن أنك لا تضر من لا ذنب له. فتعجب من كلامه أعجبه وجهه وكلامه، فقال له: ما اسمك؟ قال: محمّد . قال: ابن من؟ قال: ابن علي الرضا. فترحم على أبيه، وضَمّه إلى صدره وقَبّله، ثم تَوجّه إلى الصيد وكان معه بزاة، فأرسل بازياً على دُرّاجة فغاب البازي غيبة طويلة، ثم عاد من الجوّ في منقاره سمكة صغيرة . وبها بقايا حياة، فعجب الخليفة من ذاك غاية العجب، ثم أخذها في يده، فلما رجع عاد في طريقه فلما وصل إلى ذلك المكان؛ وجد الصبيان على حالهم، فلما رأوه انصرفوا وأبو جعفر (عليه السلام) لم ينصرف ، واقف مكانه ، فلما دنى منه المأمون قال: يا محمّد ما في يدي ؟ فألهمه الله تعالى أن قال يا أمير المؤمنين، إنّ الله تعالى خلق بمشيئته في بحر قدرته سمكاً صغاراً يرتفع مع الماء في الغيم ، فتصيدها بزاة الملوك فيختبرون بها سلالة

النبوة! فقال المأمون: أنت ابن الرضا حقاً ، وجعل يُطيل نظره إليه، و لم يزل له مكرماً حتى عزم على أن يزوجه ابنته أم الفضل»[٦].

ب - رواية ابن شهر آشوب في (مناقب آل أبي طالب):

«إجتاز المأمون بابن الرضا (عليه السلام) وهو بين صبيان؛ فهربوا سواه، فقال: عَليَّ به . فقال له: مالك ما هربت في جملة الصبيان؟ قال : ما لي ذنب فأفرّ ، ولا الطريق ضيق فأوسعه عليك ، تمرّ من حيث شئت . فقال : من تكون؟ قال : أنا محمّد بن علي، بن موسى، بن جعفر، بن محمّد، بن علي، بن الحسين، بن علي، بن أبي طالب (عليه السلام) . فقال: ما تعرف من العلوم ؟

قال : سلني عن أخبار السماوات. فودّعه ومضى وعلى يده بازِ أشهب يطلب به الصيد، فلما بَعُد عنه؛ نهض عن يده الباز فنظر يمينه وشماله لم يَر صيداً، والبازِ يثب عن يده، فرسله وطار يطلب الأفق حتى غاب عن ناظره ساعة ، ثم عاد إليه وقد صاد حيةً فوضع الحية في بيت الطعم، وقال لأصحابه: قد دنا حتف ذلك الصبي في هذا اليوم على يدي، ثم عاد وابن الرضا في جملة الصبيان، فقال: ما عندك من أخبار السماوات؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين، حدثني أبي عن آبائه، عن النبي، عن جبرئيل، عن ربِّ العالمين أنّه قال: «بين السماء والهواء بحر عجاج يتلاطم به الأمواج، فيه حيات خضر البطون، ورقط الظهور، ويصيدها الملوك بالبزاة الشهب يمتحن بها العلماء. فقال: صدقت، وصدق آباؤك، وصدق جدك، وصدق ربك، فأركبه ثم زوّجَهُ أم الفضل»[٧].

---

٦ - ابن نما ، الشيخ نجيب الدين ، محمد بن جعفر الحلي : مثير الأحزان /٢٧٢ .

٧ - ابن شهراشوب ، رشيد الدين محمد بن علي : مناقب آل ابي طالب ، ج٤/ ٣٨٨-٣٨٩ .

ج - رواية ابن طلحة الشافعي في (مطالب السؤول):

«إنّ هذا أبا جعفر محمّداً (عليه السلام)، لما توفي والده علي الرضا، وقدم الخليفة المأمون إلى بغداد بعد وفاته بسنة، إتفق أنّه بعد ذلك خرج يوماً يتصيّد، فاجتاز بطرف البلد - في طريقه والصبيان يلعبون ومحمّد واقف معهم، وكان عمره يومئذ إحدى عشر سنة - وما حولها، فلما أقبل الخليفة المأمون؛ إنصرف الصبيان هاربين ، ووقف أبو جعفر محمّد (عليه السلام) فلم يبرح مكانه، فقرب منه الخليفة فنظر إليه، وكان الله عَزّ وجلّ قد ألقى عليه مسحة من قبول، فوقف الخليفة وقال له: يا غلام ، ما منعك من الإنصراف مع الصبيان؟

فقال له محمّد مسرعاً: يا أمير المؤمنين، لم يكن بالطريق ضيق لأوسعه عليك بذهابي، ولم تكن لي جريمة فأخشاها، وظني بك حسن إنّك لا تضرّ من ذنب له فوقفت. فأعجبه كلامه ووجهه فقال له: ما اسمك؟ فقال: محمّد. فقال: ابن من أنت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أنا ابن علي.

فترحم على أبيه وساق إلى وجهته وكان معه بزاة، فلما بعد عن العمارة؛ أخذ بازاً فأرسله على دُرّاجة، فغاب عن عينه طويلاً ثم عاد إلى الجوّ وفي منقاره سمكة صغيرة وبها بقايا الحياة، فاعجب الخليفة من ذلك غاية العجب، ثم أخذها في يده وعاد إلى داره في الطريق الذي أقبل منه. فلما وصل إلى ذلك المكان؛ وجد الصبيان على حالهم فانصرفوا كما فعلوا أوّل مَرّة، وأبوجعفر لم ينصرف ووقف كما وقف أولاً، فلما قرب منه الخليفة ؛ قال له: يا محمّد . قال: لبيك ياأمير المؤمنين. قال له: ما في يدي؟ فالهمه الله عَزّوجلّ أن قال: يا أمير المؤمنين، إنّ الله تعالى خلق بمشيئته في بحر قدرته سمكاً صغاراً تصيدها بُزاة الملوك

والخلفاء، فيختبرون بها سلالة أهل النبوة. فلما سمع المأمون كلامه؛ عجب به وجعل يطيل نظره إليه، وقال: أنت ابن الرضا حقاً، وضاعف إحسانه إليه. وفي هذه الواقعة ما يكفيه من منقبه عن غيرها، ويستغني عن سواها»[٨].

نتيجة الدراسة:

وبعد عرض النص ينبغي طرح السؤال التالي:

يجد القارئ لنص هذه القصة إختلافاً من نسخة لأخرى، فعلى سبيل المثال: « على نسخة ابن شهر آشوب: فقال: ما تعرف من العلوم؟ وفي نسختي ابن نما، وابن طلحة الشافعي لا توجد هذه العبارة. وفي نسخة ابن شهر آشوب: « قد دنا حتف ذلك الصبي في هذا اليوم على يدي » وفي نسختي ابن نما وابن طلحة لا توجد هذه العبارة ! .

وفي نسخة ابن شهر آشوب: «وقد صاد حَيّة»، وفي نسختي ابن نما وابن طلحة الشافعي « ثمّ عاد من الجو وفي منقاره سمكة صغيرة». إلى غير ذلك من الإختلاف في العبارة بين هذه النسخ الثلاث، فهل هذا يؤدي إلى ضعف رواية القِصّة وعدم الإعتماد عليها؟

الجواب على هذا السؤال يستدعي توضيح ما يلي:

١ – الإختلاف بين نسخ الروايات موجود بكثرة، والسبب في ذلك يرجع إلى التالي:

---

٨ – ابن طلحة الشافعي ، الشيخ كمال الدين محمد : مطالب السؤول ، ج٢ / ١٤١ .

أ – إنّ الرواة ينقلونها حسب حفظهم وفهمهم، فيترتب على ذلك الزيادة والنقصان.

ب – الظروف التي يعيشها الراوي قد تحتم عليه الإتيان بها على هذا النحو، ومن الشواهد على ذلك : (عن يونس بن عبيد قال: سألت الحسن البصري، إنّك تقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وإنّك لم تدركه؟ قال: يا ابن أخي، لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك، كل شيء سمعتني أقول: « قال رسول الله »، فهو عن علي بن أبي طالب، وإنّي في زمان لا أستطيع أن أذكر علياً»[٩].

وأيضاً عن أبي هريرة قال: «حفظت من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعائين: فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته؛ قطع هذا البلعوم»[١٠].

قال الشارح: «الوعاء الذي لم يبثثه، الأحاديث التي فيها بيان أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم، و لم يصرح بهم خوفاً على نفسه»[١١].

ج – النسّاخ للكتب الروائية قد يزيدوا أو ينقصوا ، إما جهلاً منهم، أو من باب التعمد.

د – قد يكون الراوي من الوضاعين فيتصرف في الرواية من حيث الزيادة أو النقصان.

---

٩ – الخزرجي ، احمد بن عبدالله الأنصاري : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ، ج١/ ٢١٠-٢١١ .

١٠ – البخاري ، محمد بن إسماعيل الجعفي : صحيح البخاري ، ج١/٣٨ (كتاب العلم – حفظ العلم).

١١ – العسقلاني ، احمد بن محمد : إرساد الساري ، ج١/ ٢١٢ .

وبعد ملاحظة هذه الأسباب، يمكن القول بأنّ هذه النسخه موجـــودة في كتب معتمدة، وهذا الإختلاف مادام لا يؤثر في جوهر القصة، فلا مانع مـــن الأخذ بها. وسيتضح ذلك بعد عرض العناصر الفنية لهذه القِصّة.

الفصل الثاني

دراسة العناصر الفنية لنصّ القِصّة

الباب الأوّل – دراسة الشخصية

١ – الإمام الجواد(عليه السلام)

٢ – المأمون العباسي

٣ – الصبيان

٤ – البازي الأشهب

٥ – الدُرّاجَة

٦ – الحَيّة

٧ – السمكة

توطئة وتمهيد:

قبل الدخول في دراسة التركيبة الفنية للقصة الروائية الواقعية ؛ لابد من ملاحظة ما يلي:

أوّلا - يحتوي النّص الروائي للقصة على العناصر الفنية وهي: الشخصية، والحدث، والحوار، والزمان والمكان. وهذه العناصر تستخدم بشكل يحقق للقصة بناءاً فنياً معتبراً.

ثانياً - إنّ هذه العناصر تتحقق في النّص في صورة من التداخل والتشابك، بحيث أنّ بعضها لا يمكن أن ينفصل عن بعض، وبخاصة عنصري الحدث والشخصية؛ وذلك أنّ الحدث هو فصل الشخصية، كما أنّ الشخصية لا تثبت وجودها إلاّ من خلال ما تقوم به من أحداث، أو ما تأديه من أقوال، وهذا التداخل الواضح مظهر إيجابي في بناء القصة، بحيث يحقق لها توازناً مستمراً في النمو نحو صورة قصصية متكاملة نوعاً، كما يجعل بعضها ذا تأثير في بعضها الآخر، وكشف الكثير من جوانبها.

ثالثاً - يظهر التفاوت في أهمية كل عنصر بحسب طبيعة كل قصة، وما تهدف إلى تحقيقه من غرض، فأحياناً يبرز عنصر الشخصية، وغالباً ما يكون الحدث هو العنصر الواضح الأهم، وربما كان الحوار هو العنصر المسيطر في القصة، وهذا ليس تقسيماً توزع عليه كل النصوص، فهناك صورة رابعة نجد فيها أنّ هذه العناصر من الشخصية والحدث والحوار، توزع بإحكام وتوازن وتساوٍ، مما يخلق مضموناً معيناً في نهاية الأمر. وبعد هذا

التمهيد سوف نقوم بدراسة هذه العناصر الفنية لتركيبة القصة، ومـــدى تطبيق ذلك على رواية قصة (البازي الأشهب).

ونبدأ بالتعرف على شخصية القصة بشكل عام، من حيث ذاتها وطبيعتها بشرية أو غير بشرية فالبشرية هي:

١ - الأنبياء والأولياء والعظماء.

٢ - رجال ونساء عاديون.

٣ - جماعات وجماهير.

و غير البشرية هي:

(١) الملائكة.

(٢) حيوانات وطيور.

(٣) الجن.

(٤) شخصيات معنوية (العمل والموت ونحو ذلك).

وبعد معرفة الشخصية بشكل عـــام ؛ نـــدخل في الدراســـة التفصـــيلية لشخصيات هذه القصة.

١ - الإمام الجواد (عليه السلام):

هو: محمّد بن علي، بن موسى بن جعفر، بن محمّد، بن علي، بن الحسين، بن علي بن أبي طالب (عليه السلام). الإمام التاسع من أئمة أهل البيت النبوي الشريف.

والدته هي سبيكة، ثم سَمّاها الإمام الرضا (عليه السلام) خيزران، وكانت نَوبيّة من أهل بيت مارية القبطية – أم إبراهيم ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله) – ، وكانت من أفضل نساء زمانها، وقد أشار إليها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقوله: (بأبي ابن خِيرة الإماء[١٢] ابن النوبية، الطيبة الفم، المنتجبة الرحم..)[١٣].

- ولد في العاشر من رجب، سنة (١٩٠ هـ) بالمدينة المنورة.
- إستلم منصب الإمامة بعد أبيه من سنة (٢٠٣ هـ) ، حتى وفاته سنة (٢٢٠ هـ) ؛ أي مدة ١٧ سنة.
- كنيته: أبوجعفر، ويقال: أبو جعفر الثاني، تمييزاً له عن الإمام الباقر (عليه السلام).
- ألقابه: الجواد، القانع، المرتضى، النجيب، التقي، المنتجب، المختار، المتوكل، المتقي، الزكي، العالم.
- زوجاته: سمانة المغربية، أم الفضل بنت المأمون.

---

١٢ – قد تكرر هذا الخطاب من المعصومين (ع) ، ففي كتاب (الغارات/٩ – لابن هلال الثقفي) : عن أمير المؤمنين (ع) : بأبي ابن خيرة الإماء) ؛ والمراد به الإمام الحجة (عج) . وكلا الخطابين – سواء ماصدر عن النبي (ص) في حق أم الإمام الجواد (ع) ، أو ماصدر عن أمير المؤمنين (ع) في حق الإمام المهدي (ع) – دالين على عُلوّ شأنهما وعظيم منزلتهما . وأيضاً لرفع مافي أذهان الناس من النظرة المُحقّرة للإماء . إذن ، إتضح لنا من هذين الحديثين أنهما من سيدات النساء ، بما تحويه من شرف وعلم وورع لم يكن عند غيرهن من النساء الأخريات ، بل يكفيهما فخراً وشرفاً ، أنهما أمهات الأئمة قد إصطفاهن الباري عَزّوجلّ لمصاهرة أشرف وأقدس بيت في الدنيا والآخرة ؛ أي البيت النبوي الشريف .

١٣ – الكليني ، الشيخ محمد يعقوب : أصول الكافي ، ج/ ٣٢٣ (كتاب الحجة – حديث ١٤).

- أولاده : الإمام الهادي (عليه السلام)، وأبو أحمد موسى المبرقع، وأبو أحمد الحسين، وأبو موسى عمران.
- بناته: فاطمة، وخديجة، وأم كلثوم، وحكيمة، وزينب، وأم محمّد، وميمونة، وأم أبناء وبنات الإمام الجواد (عليه السلام)؛ هي سمانة المغربية، و لم ينجب من أم الفضل بنت المأمون.
- شعراؤه : حَمّاد، وداود بن القاسم الجعفري.
- بَوّابه : عمر الفرات، وعثمان بن سعيد السمان.
- ملوك عصره: المأمون، والمعتصم. وتوفي يوم السبت آخر ذي القعدة، سنة (٢٢٠هـ) ببغداد، متأثراً بسم دسه إليه المعتصم العباسي على يد زوجته أم الفضل، ودفن مع جده الإمام الكاظم (عليه السلام) في روضته الشريفة.

٢ - المأمون العباسي:

هو عبدالله، بن هارون، بن محمّد المهدي، بن عبدالله (المنصور)، بن محمّد، بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب.

أمه: أم ولد إسمها (مراجل الباذ غيسية)، ماتت في نفاسها. ولد ليلة النصف من ربيع الأول - وهي الليلة التي مات فيها الهادي موسى بن المهدي العباسي - ، سنة (١٧٠هـ).

كنيته: أبوجعفر، وقيل: أبو العباس.

لقبه: المأمون.

زوجاته هي: أم عيسى بنت موسى الهادي، وخديجة بنت الحسن بن سهل التي تسمى (بوران) .

أولاده وهم : محمّد، إسماعيل، وعلي، والحسن، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، وأحمد، والعباس، والفضل، والحسين، ويعقوب، وجعفر، ومحمّد الأكبر - وهو ابن معلّلة، وتوفي في حياته - ، ومحمّد الأصغر، وعبيدالله، أمهما أم عيسى بنت موسى الهادي.

بايعه أهل خراسان سنة ١٩٥هـ ، وتمت له البيعة بعد قتل أخيه محمّد الأمين سنة ١٩٦هـ .

غزى الروم وفتح فتوحات كثيرة، وكان أمره نافذاً بأفريقية إلى أقصى بلاد خراسان، وماوراء النهر إلى الهند والسند.

وفاته: وفي سنة ٢١٨هـ توجه إلى حرب الروم وحقق فتوحات كبيرة. وفي (عين بديدون) - والتي يقال لها بالرومية (الرقة) ، وكانت موضعاً يتوفر فيه الماء البارد العذب. هواؤه عليل لطيف، تكسو أرضه الخضرة والنضارة -؛ شُيِّدَتْ له كنيسة على ذلك النهر، وذات يوم - وكان المأمون ينظر في الماء - رأى سمكة تقرب من ذراع في الطول كأنها سبيكة فضة، فأمر رجاله باصطيادها، قفز أحدهم إلى الماء وأمسك بالسمكة، ولما أخرجها من الماء اضطربت بشدة فألقت به في الماء، وإنتشر الماء على صدر المأمون ونحره وترقوته.

إرتعش المأمون وراح يرتجف بشدّة، نزل الرجل ثانية إلى الماء وأمسك بالسمكة ووضعها أمام المأمون الذي أمر بطبخها، لكن الرجفة عاودته بشدّة، و لم تفلح الأغطية والدثارات التي غمروه بها في وقف إرتجافه، وهو لايفتأ يصيح: البرد.. البرد. أحسّ بالنار تشتعل في أطرافه، وراح يرتعد كالورقة حتى بدت عليه علائم الموت، بادر المعتصم أخوه إلى إحضار بختيشوع وابن ماسويه الطبيب لعلاجه، فلما فحصا نبضه قالا: إننا لا نعرف علاجاً يشفيه وراح العرق يتصبب منه، وينحدر على وجهه وجسمه كأنه الزيت، أو لعاب الأفاعي. وأفاق المأمون من غشيته، وفتح عينيه من رقدته، فأمر باحضار أناس من الروم، فسألهم عن الموضع والعين، فاحضر له عدّة من الأسارى والأدلّة، وقيل لهم: فسروا هذا الإسم (القشيرة) ؟ فقيل له: تفسيره (مُدّ رجليك). فلما سمعها اضطرب من هذا الفأل وتَطيّر به، وقال: سَلُوهم ما إسم الموضع بالعربية؟ فقالوا: الرقة – وكان فيما عمل من مولد المأمون أنه يموت بالموضع المعروف بالرقة، وكان المأمون كثيراً ما يحيد عن المقام بمدينة الرقة فَرَقاً من الموت – ، فلما سمع هذا من الروم؛ علم أنه الموضع الذي وُعِدَ فيه فيما تقدم من مولده، وأنّ فيه وفاته.

فلما ثقل قال: أخرجوني أشْرِفُ على عسكري، وأنظر إلى رجالي، وأتبين ملكي، وذلك في الليل، فأخرج فأشرف على الخيم والجيش وإنتشاره وكثرته، وما قد أوقد من النيران، فقال: يا من لا يزول ملكه، إرحم من قد زال ملكه، ثم رُدّ إلى مرقده وأجلس المعتصم رجلاً يشهده لما ثقل، فرفع الرجل صوته ليقولها، فقال له ابن ماسويه: لا تَصِحْ فوالله ما يفرق بين ربه وبين مابي في هذا

الوقت، ففتح المأمون عينيه من ساعته وبهما من العظم والكبر الإحمرار ما لم يُرَ مثله قط، وأقبل يحاول البطش بيديه بابن ماسويه، ورام يخاطبه، فعجز عن ذلك، فرمى بطرفه نحو السماء، وقد إمتلأت عيناه دموعاً، فانطلق لسانه من ساعته، قال: يا مَنْ لا يموت إرحم مَنْ يموت، وقضى من ساعته، وذلك في يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثماني عشرة ومائتين، وحمل إلى طرطوس، وصلى عليه أخوه ابوإسحاق، ودفن في دار خاقام الخادم[١٤].

٣- الصبيان:

من الشخصيات الموجودة في هذه القصة الصبيان، حيث كانوا يلعبون والإمام الجواد(عليه السلام) واقف. أو (بين صبيان) على النسخة الأخرى. والمتأمل في هذه الشخصية - أي الصبيان - ؛ يخرج بالنتيجة التالية:

١ - من خلال قراءة أو سماع هذه القصة، وخصوصاً موقف الصبيان، يتم تصوير العواطف والإنفعالات من خلال سلوك الشخصية ومواقفها ومواجهتها للأحداث، بحيث يكشف لنا موقف الشخصية وتصرفها عما يدور بداخلها، فالأطفال حينما هربوا خوفاً من المأمون وموكبه في خروجه للصيد وفي رجوعه. يكشف لنا حالة الرعب والخوف الذي حصل لهم من ذلك.

٢ - قد يستغرب القارئ أو السامع من بقاء الإمام الجواد (عليه السلام) مع الأطفال هذه الفترة الطويلة، حيث أن موكب المأمون يحتاج إلى الوقت

١٤ - المسعودي ، علي بن الحسين : مروج الذهب ، ج٤ / ٤٣ - ٤٥

الطويل في ذهابه ورجوعه، وفي الفترة التي قضاها لإنتظار البازي في الجو، حيث أنّ البازي بقي ساعة في الجوّ؟

٣ - إن وجود الإمام الجواد (عليه السلام) بين الصبيان كل هذه المدة يلعب معهم، وهذا لا يتناسب مع مقامه الشريف، فبأي شيء يمكن رفع هذا الإستغراب المذكور عن القارئ أو السامع؟

إنّ الجواب لرفع هذا الإستغراب والتساؤل من القارئ أو السامع، يظهر بعد بيان ما يلي:

أولا - إنّ بقاء الصبيان كل هذه المدة الطويلة شيء إعتيادي، فانهم يقضون الأوقات الطويلة في اللعب، وفي المكان الواحد.

ثانياً - إنّ بقاء الإمام الجواد(عليه السلام) معهم في ذلك المكان كل هذه المدة، فيه عدة إحتمالات:

أ - نص القصة لم يذكر لنا أنّ الإمام(عليه السلام) مع الصبيان كل الوقت، وإنّما فترة رجوع المأمون بموكب صيده، فلعل الإمام(عليه السلام) - بحسب علمه - كان مؤقتاً له لحظة رجوعه لمصلحة هو أعلم بها.

ب - لا مانع أن يقف معهم هذه الفترة لهدف تعليمهم وإرشادهم؛ لأن الإمام (عليه السلام) هو لجميع الخلق لا فرق بين الصغير والكبير منهم، فإذا إقتضت المصلحة ذلك فلا غرابة في مثل هذا الشيء.

ج – قد يدعي البعض أنه لا مانع من لعب الأئمة في سن طفولتم مع الأطفال، ويستفاد هذا من العلامة الطباطبائي (رحمه الله)، حينما سأله أحد تلامذته : «هل كان أئمة الهدى سلام الله عليهم أجمعين يلعبون في سن الطفولة مثل سائر الأطفال ونفس ألعابهم، وهل وردت هذه المسألة في سيرهم وتواريخهم والروايات الصحيحة ؟

رأي العلامة الطباطبائي في لعب الأئمة (عليهم السلام) في طفولتهم :

العلاّمة : إنّ مسألة لعبهم لا إشكال فيها. وينقل بشأن حضرة الإمام الجواد (عليه السلام) قصتان:

الأولى: أنّه كان يلعب مع الأطفال في أحد الأزقّة، فمرّ المأمون عليهم وسأله أسئلة أجاب عنها جميعاً.

الثانية : عن الصوفية، وهي القصة التي رووها عن بايزيد البسطاميّ، الذي كان يلعب مع الإمام الجواد لعبة الإختباء والبحث. فاختبأ الإمام عند دوره، بدأ بايزيد البحث عنه، ولكنّه مما بحث وفي أي مكان من العالم فلم يجده، وينقلون هذه القصة ككرامة للإمام. وفجأة سمع بايزيد صوت الإمام وكأنّه ينبعث من قلبه، قائلاً: أنا هنا ! فأين تبحث؟!

ولست أذكر الآن أين قرأت هذه القصة، ربّما كانت في كتاب «طبائق الحقائق»، أو كتاب «نفحات الأنس» لجامى، ولكنهم ينقلونها هكذا...»[١٥].

---

١٥ – الطهراني ، السيد محمد الحسين الحسيني : الشمس الساطعة / ٣٠٦ – ٣٠٧ .

مناقشة رأي العلاّمة الطباطبائي (رحمه الله) :

أتعجب كيف صدر هذا الجواب من العلاّمة الطباطبائي (رحمه الله)، في خصوص مسألة لعب الأئمة (عليهم السلام) في طفولتهم مع عامة الأطفال، ويزيد تعجبي أنّه بنى ذلك على دليل ضعيف!!

ويمكن مناقشته كالتالي:

أولا - قوله: «أنه كان يلعب مع الأطفال في أحد الأزقّة، فمرّ المأمون عليهم...» ؛ لا يفهم منه اللعب معهم !

ثانياً - قوله: «عن الصوفية». فتتم الإجابة عنه كالتالي:

١ - المعروف المشهور عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أنهم حذّروا من الصوفية، ففي حديث إمامنا الهادي (عليه السلام) - مخاطباً لرجل من أصحابه - : (أما تدري إنّ أخَسّ الطوائف الصوفية، والصوفية كلهم من مخالفينا ، طريقتهم مغايرة لطريقتنا ، وإن هم إلا نصارى ومجوس هذه الأمة، أولئك يهجدون في إطفاء نور الله، والله متم نوره ولو كره الكافرون)[١٦].

٢ - الراوي لهذه القصة ؛ هو أبو يزيد طيفور بن آدم، بن عيسى ، بن علي الزاهد البسطامي الصوفي، توفي سنة ٢٦١هـ ، ولم يذكروا عمره أكثر من الثمانين ، فتكون ولادته سنة ١٨٠هـ ، فعلى هذا يكبر الإمام الجواد

---

١٦ - الطبسي ، الشيخ محمد جواد : حياة الإمام الهادي / ٢٤٣ .

(عليه السلام) بـ «١٥ سنة»، وعادة الأطفال اللعب مع من يقاربهم في السن، فكيف تحققت اللعبة المذكورة؟!.

٣ - على فرض التسليم بكل ذلك، فكيف نعتمد على مصدره، حيث قال: «ولست أذكر الآن أين قرأت هذه القصة، ربما كانت في كتاب (طبائق الحقائق)، أو كتاب (نفحات الأنس) لجامي، ولكنهم ينقلونها هكذا»؟!

٤ - إن مذهب المحققين من الإمامية هو القول بخلاف رأي العلامة الطباطبائي، واحتجوا على ذلك بما يلي:

أ - عن علي بن حسان الواسطي المعروف بالعمش (المنمّس) قال: (حملت معي إليه من الآلة التي للصبيان بعضاً من فضّة وقلت : أتحف مولاي أبا جعفر (عليه السلام) بها ، فلما تفرّق الناس عنه عن جواب لجميعهم ، قام فمضى إلى صريا وإتبعته فلقيت مَوفّقاً فقلت : إستأذن لي على أبي جعفر (عليه السلام) فدخلت وسَلّمت فردّ عليّ السلام، وفي وجهه الكراهة ولم يأمرني بالجلوس ، فدنوت منه وفرّغت ما كان في كَمّي بين يديه ، فنظر إليّ نظر مغضب ثم رمي يميناً وشمالا ، ثم قال: ما لهذا خلقني الله ، ما أنا واللعب! فاستعفيته فمضى عنّي فخرجت)[١٧].

ب - قصة الإمام العسكري (عليه السلام) مع بهلول، وقد ذكرها السيد الميلاني (رحمه الله) في كتابه (قادتنا كيف نعرفهم؟) كالتالي:

١٧- المجلسي ، الشيخ محمد باقر : بحار الأنوار ، ج٥٠ / ٥٩ .

«ونقل في «روض الرّياحين» للإمام عبدالله بن أسعد اليافعي، عن بهلول[١٨] قال : بينما أنا ذات يوم في بعض شوارع البصرة ، وإذا بالصبيان يلعبون بالجوز واللوز وإذا بصبيّ ينظر إليهم ويبكي فقلت : هذا صبيّ يتحسر على ما في أيدي الصبيان ولا شيء معه ، فقلت : أي بني ما يبكيك ؟ أشتر لك ما تلعب به ، فرفع بصره إليّ وقال : يا قليل العقل ، ما للعب خلقنا؟!

فقلت: فلم إذاً خُلقنا؟

قال: للعلم والعبادة. قلت: من أين لك ذاك بارك الله فيك؟

قال : من قول الله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٥]. فقلت: يا بني أراك حكيماً فعظني وأوجز. فأنشأ يقول:

أرى الدنيا تجهّز بانطلاق ... مشمّرة على قدم وساق
فلا الدنيا بباقية لحيّ ... ولا حيّ على الدّنيا بباق
كأنّ الموت والحدثان فيها ... إلى نفس الفتى فرساً سباق
فيا مغرور بالدنيا رويداً ... ومنها خذ لنفسك بالوثاق

ثم رمق إلى السماء بعينيه وأشار بكفيه ودموعه تتحدّر على خدّيه، وأشار بقوله: يا من إليه المبتهل يا من عليه المتكل، يا من إذا ما آملٌ يرجوه له يخط الأمل...

١٨- وهب بن عمرو الكوفي ، المشهور بالمجنون ، كان من خواص تلامذة الإمام الصادق (ع) ، كاملاً في فنون الحكم والمعارف والآداب . يقال : إنّ أباه عمرو كان عَمّ الرشيد ، بقي إلى أيام المتوكل العباسي ودفن ببغداد .

قال : فلما أتمّ كلامه خرّ مغشياً عليه فرفعت رأسه إلى حجري ونفضت التراب عن وجهه، فلما أفاق قلت: أي بنيّ ما نزل بك وأنت صبي صغير لم يكتب عليك ذنب ؟ قال : إليك عنّي يا هلول ، إني رأيت والدتى توقد النار بالحطب الكبار فلا تتقد إلاّ بالصغار ، وأنا أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم. فقلت له: أي بنيّ أراك حكيماً فعظني، فأنشأ يقول:

غفلت وحادى الموت في أثري يحدو ... وإن لم أرح يوماً ولابدّ أن أغدو
أنعّم جسمي باللباس ولينه ... وليس لجسمي من لباس البلى بدُّ
كأنّي به قد مَرّ في برزخ البلا ... ومن فوقه دم ومن تحته لحد
وقد ذهبت عني المحاسن وانمحت ... ولم يبق فوق العظم لحم ولا جلد
أرى العمر قد ولّى ولم أدرك المنى ... وليس معي زاد وفي سفري بعد
وقد كنت جاهرت المهيمن عاصياً ... وأحدثت أحداثاً وليس لها ودّ
وأرخيت دون الناس سرّاً من الحيا ... وما خفت من سرّي غدا عنده يبدو
بلى خفته لكن وثقت بحلمه ... وأن ليس يعفو غيره فله الحمد
فلو لم يكن شيء سوى الموت والبلى ... ولم يك من ربّي وعيد ولا وعد
لكان لنا الموت شغل وفي البلى ... عن اللهو لكن زالنا عن رأينا الرّشد
عسى غافر الزلات يغفر زلّتي ... فقد يغفر المولى إذا أذنب العبد
أنا عبد سوء خُنت مولاي عهده ... كذلك عبد السوء ليس له عهد
فكيف إذا أحرقت بالنّار جثتي ... ونارك لا يقوى لها الحجر الصّلد
أنا الفرد عند الموت والفرد في البلى ... وأبعث فرداً فارحم الفرد يا فرد

قال هلول : فلما فرغ من كلامه؛ وقعت مغشيّاً عليّ ، وانصرف الصبيّ فلمّا أفقت ونظرت إلى الصبيان فلم أره معهم، فقلت لهم: من يكون ذلك الغلام؟ قالوا : وما عرفته ؟ قلت : لا . قالوا : ذاك من أولاد الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) . قال : فقلت : قد عجبت من أمره ، وما تكون هذه الثمرة إلاّ من تلك الشجرة»[١٩].

٤- البازِى الاشْهَبْ[٢٠]:

سيتم دراسة شخصية البازِى من النواحي التالية :

أولا - عند أهل اللغة :

قال الخليل: «والبازى يبزو في تطاوله وتأنّيه.. والتبازى في المشي كأنّه سعة الخطو... وأبزيت بفلان إذا بطشت به وقهرته»[٢١].

وقال ابن منظور: «البَازُ: لغة في البازي.. والجمع أبْوازٌ وبيزانٌ، وجمع البازي بُزَاة.

وباز يبوز إذا زال من مكان إلى مكان آخر آمناً. أبو عمرو: البَوْزُ الزّوَلان من موضع إلى موضع»[٢٢].

---

١٩ - الميلاني ، السيد محمد هادي : قادتنا كيف نعرفهم . ، ج٧ / ١١٧-١١٩ .

٢٠ - الشُهْبَةُ : بياضُ مشرَب بأدنى سواد . شَهِبَ شَهَباً وشُهْبَةً وشُهُبُ وأشْهب . راجع الإفصاح في فقه اللغة ، ج١٣٢٣/٢ .

٢١ - الفراهيدي ، الخليل بن أحمد : كتاب العين /٧١ .

٢٢ - ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب ، ج٥ / ٣١٤ .

وقال الشيخ الطريحي: «البزاة ؛ جمع البازى، والبازي مخففة أفصح لغاته، والثانية باز، والثالثة بازيّ بالتشديد، ويجمع على أبْوَاز وبِيزَان»[٢٣].

وقال الشيخ رسول كاظم: «الباز: بفتح الباء، أو البازى، ضرب من الصقور جمعه أبوزة، سمي به؛ لأنه يزول من مكان إلى مكان آمن»[٢٤].

وقال الدميري: «البازى أفصح لغاته بازى مخففة الياء، والثانية باز، والثالثة بازيّ بتشديد الياء حكاهما ابن سيده، هو مذكر لا إختلاف فيه، ويقال في التثنية بازيان، وفي الجمع بزاة كقاضيان وقضاة. ويقال للبزاة والشواهين وغيرهما مما يصيد، صقور.

ولفظه مشتق من البزوان؛ وهو الوثب . وكنيته أبو الأشعث، وأبو البُهْلُول، وابو لاحق، وهو من أشد الحيوانات تكبراً وأضيقها خلقاً . قال القزويني في (عجائب المخلوقات) : قالوا : إنه لا يكون إلاّ إنثى وذكرها من نوع آخر، كالحدأ والشواهين ولهذا إختلف أشكالها»[٢٥].

وبعد عرض ما ذكره اللغويون؛ نخرج بالنتيجة التالية:

١ - حكى ابن سيدة : البازى أفصح لغاته بازى مخففة الياء، والثانية باز، والثالثة بازيّ.

---

٢٣ - الطريحي ، الشيخ فخر الدين : مجمع البحرين ، ج٤/٨ .

٢٤ - كاظم ، الشيخ رسول : حياة الحيوان عند أهل البيت (ع) / ١٠٢ .

٢٥ - الدميري ، كمال الدين محمد بن موسى : حياة الحيوان الكبرى ، ج١ / ١٣٥ - ١٣٦ .

والمثنى بازيان. والجمع مختلف فإن كان البازى، جمعها بُزَاة. والباز، جمعها أبؤزة . والبازيّ، جمعها أبواز وبِيزَان.

٢ - سمي بـ (البازى)؛ لأنه إشتق من التبازي في المشي؛ أي السعة في الخطو، وأبزيت بفلان إذا بطشت به وقهرته. قال ابو عمرو: البوز؛ الزّوَلاَن من موضع إلى موضع، مشتق من البزوان وهو الوثب.

٣ - كنيته : أبو الأشعث، أبو البُهْلُول أبو لاحق.

ثانياً - عند علماء الطبيعة :

وأهم ما يمكن دراسته عندهم هو ما يلي:

أ - فصيلته :

جاء في موسوعة المورد العربية:

«طائر من الفصيلة الصقرية ، يتراوح طوله ما بين (١٥ - ٦٠ سنتيمتراً)، يتميز بمنقاره القوي الأعقف»[٢٦] وفي الموسوعة العربية العالمية: «البزاة أكبر الصقور الحقيقية حجماً؛ حيث يبلغ طول إنثى البازى ما يقرب من ٦٠ سم، ويبلغ طول الذكر ما يقرب من ٥٠ سم»[٢٧].

---

٢٦ - البعلبكي ، منير : موسوعة المورد العربية ، ج١ / ١٩١ .

٢٧ - الموسوعة العربية العالمية ، ج١٥ / ١٠٩ .

ب - أنواعه :

قال البعلبكي: «أنواعه كثيرة تناهز الستين نوعاً، من أشهرها بازى المروج الذي يتواجد في الأجزاء الغربية من أمريكا الشمالية، وبازى الغابات أو صقر الغابات، الذي يتواجد في أمريكا الإستوائية»[٢٨].

وفي الموسوعة العربية العالمية: «وهناك أنواع عديدة من الصقور مثل: البازى الشمالي ذي الريش المزركش، وأجزاؤه السفلية ومادية وبيضاء، وله خط أبيض يعلو عينيه... وهناك أنواع أخرى من البزاة تشمل الباز الأبيض الأسترالي، والباز الصياح الإفريقي الموطن»[٢٩].

«تعشعش الصقور على الجروف الصخرية، أو فوق الأشجار، أو على الأرض. فبعض الصقور تبني أعشاشها ببساطة عن طريق حفر حفرة على جوف صخري. وتبني صقور أخرى أعشاشها بإتقان من الأغصان ومن الحشائش والبناتات الأخرى . وتستخدم صقور عديدة الأعشاش المهجورة الخاصة بطيور أخرى» .

وقد تستعمل الصقور الأعشاش نفسها لعدة أعوام. وتضع الأنثى من بيضة واحدة إلى ثلاث في كل موسم تزاوج. وتحضن معظم الصقور بيضها لمدة تبلغ بين ٣٠ و ٣٥ يوماً حتى يفقس. وتقوم الأنثى بمعظم مهام حضن البيض، بينما يمدها الذكر بالطعام، وهذا الإختلاف في دور ذكر الصقور وأنثاه يفسر لماذا تكون الإناث أكبر حجماً من الذكور. تفقس الصغار وهي مغطاة بزغب

---

٢٨ - البعلبكي ، منير : موسوعة المورد العربية ، ج١ /١٩١ .

٢٩ - الموسوعة العربية العالمية ، ج١٥ / ١٠٩ .

خفيف، وسرعان ما يستبدل هذا الزغب بزغف أكثف، ويقوم الوالدان بصيد الطرائد وحملها لصغارها، وغالباً ما تحدث صراعات على الطعام بين إثنين أو أكثر من الصغار، وتنمو صغار الصقور سريعاً وتغادر العش بعد ما يقرب من ٣٠ إلى ٦٠ يوماً.

البزاة قوية ورشيقة وتتغذى بالطيور الكبيرة، مثل: الغربان والطرائد الأخرى من الطيور، بالإضافة إلى الثدييات، مثل: السنجاب.

الباز: نوع من الصقور التي تعيش في المناطق المعتدلة من نصف الكرة الشمالي.. تهاجر الصقور التي تعيش في المناطق الشتوية الباردة إلى مناطق دافئة خلال فصل الشتاء . وفي أنواع أخرى، تهاجر معظم الصقور الصغيرة ولكن تبقى الكبيرة.. وتطير الصقور المهاجرة خلال النهار ثم تنام بالليل، ويمكن رؤية أعداد ضخمة من الصقور المهاجرة من عدة أنواع عندما يضيق مسار الهجرة خلال النهار على إمتداد السلاسل الجبلية، وسواحل البحار والبحيرات التي تعصف بها الرياح.

الصقر الحر الجوّال؛ إحدى عجائب الطبيعة الطائرة، فبإمكانة أن ينقض للإفتراس بسرعة ٣٢٠ كم ساعة تقريباً. ويبلغ طول هذا الصقر نحو ٥٠ سم، ولونه أزرق داكن، أو أزرق رمادي من أعلى، وبه أجزاء سفلية بيضاء، أو محمرة بها علامات على شكل خطوط بنية سوداء. تعيش الصقور الحرّة الجوّالة على طول الهضاب بالقرب من شواطئ البحار والأنهار والبحيرات، أو في

الجبال. وهذه الصقور في الطريق لأن تصبح نادرة الوجود . وهي تعيش في الغالب على إصطياد متوسطة الحجم مثل الحمام»[٣٠].

ثالثاً - علاقته بالإنسان:

يمكن التركيز في هذه العلاقة على التالي:

أ - قبول الآداب:

قال الجاحظ: «كما تقبل البوازي، والشَّواهين، والصقورة، والزُّرق، والبُوبؤ، والعُقَاب، وعَنَاق الأرض، وجمع الجوارح الوحشية»[٣١]. والمراد بقبولها الآداب: أن تطيع الإنسان وتفهمه بعد التدريب، تحت إشارات وأصوات معينة، فيعرف ما يراد منه، ويخبأ الحلي فيسأل عنه فيصاح به فيمضي حتى يقف بصاحبه على المكان الذي خَبّأه فيه، ولكن لا يلزم البحث عنه.

وفي موسوعة المورد العربية: «يتميز بمنقاره القوي الأعقف، وبسرعة طيرانه إلى حَدّ يمكّنه من اللحاق بمعظم الطيور وطرحها أرضاً، أو للإمساك بها بمخالبه، ومن أجل ذلك يدرب على الصيد ويستعان به في هذا الغرض، وهو ما يعرف بـ (البَزْدَرَة)»[٣٢].

---

٣٠ - المصدر السابق ، ج١٥/ ١١٢ .

٣١ - الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر : كتاب الحيوان ، ج٤/ ٤٧ .

٣٢ - البعلبكي ، منير : موسوعة المورد العربية ، ج١ /١٩١ .

ب - من جوارح الملوك :

قال الجاحظ: «والباز والفهد من جوارح الملوك... وليس ترى شريفاً يستحسن حمل البازى - لأن ذلك من عمل البازيار - ويستهجن حمل الصُّقور والشواهين وغيرها من الجوارح، وما أدرى علّة ذلك، إلاّ أنّ الباز عندهم أعجميّ، والصَّقر عربي»[٣٣].

ج - خوف صاحب الباز من العقاب :

قال الجاحظ : «وإذا جامع صاحب الصقر، وصاحب الشاهين، وصاحب البازى، صاحب العُقاب؛ لم يرسلوا أطيارهم خوفاً من العُقاب؛ وهي طويلة العمر عاقّة بولدها. وهي لا تحمل على نفسها في الكَسْبِ، وهي إن شاءت كانت فوق كل شيء، وإن شاءت كانت بقرب كل شيء، وتتغدى بالعراق وتتعشّى باليمن، وريشها الذي عليها هو فروها في الشتاء، وخَيْشُها في الصيف. وهي أبصر خلق الله . هذا قول صاحب المنطق في عقوق العُقاب وجفائها بأولادها»[٣٤].

هذا ما أر دنا دراسته في شخصية البازى .

٥ - الدُرّاجة :

الدراسة المتعلّقة بهذه الشخصية، ملخصة في التالي:

---

٣٣ - الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر : كتاب الحيوان ، ج٤/ ٤٧٨ .

٣٤ - البعلبكي ، منير : موسوعة المورد العربية ، ج١ /١٩١ .

أولا - عند اللغوين:

قال الدميري: «الدُرّاج: بضم الدال وفتح الراء المهملتين، كنيته أبوالحجاج، وأبو حظار، وأبوضبه واحدته دُرّاجَة ... والدراج : إسم يطق على الذكر والأنثى حتى تقول: الحَيْقُطان، فيختص بالذكر، وأرض مدرجة؛ أي ذات دَرّاج، كذا قال الجوهري. وقال سيبويه: واحدة الدراج درجوج، والديلم ذكر الدراج»[٣٥].

وقال الطريحي: «والدُرّاج أو الدُرّاجة - بالضم والتشديد - : ضرب من الطير للذكر والأنثى... والدُرّاج، القُنْفُد صفة غالبة عليه، لأنه يدرج ليله كله»[٣٦].

وقال الشيخ رسول كاظم: «الدُرّاج كـ (رُمّان)، طائر شبيه بالحجل واكبر منه، أرقط بساد وبياض، أو نقط، قصير المنقار، يطلى على الذكر الأنثى؛ سمي بالدُرّاج؛ لأنّه يدرج، أي يختبئ إذا طارده الصيادون»[٣٧].

وقال معلوف: «الدُرّاج: ج دَرايج، وواحدته «دُرّاجة» والتاء للوحدة لا للتأنيث،...

الدُرّاج: الكثير الطواف، وأرض مَدْرَجة ج مَدَرِج؛ يكثر فيها طائر الدُرّاج»[٣٨].

---

٣٥ - الدميري ، كمال الدين : حياة الحيوان ، ج١/ ٤٢٧ .

٣٦ - الطريحي ، الشيخ فخر الدين : مجمع البحرين ، ج٢/ ٣٠٠ .

٣٧ - كاظم ، الشيخ رسول : حياة الحيوان عند أهل البيت (ع) /٣٢٠ .

٣٨ - معلوف ، لويس : المنجد في اللغة / ٢١١ .

وبعد عرض ما ذكره اللغويون؛ نخرج بالنتيجة التالية:

أ – الدُرّاج، يطلق على الذكر والأنثى. وسمي بالدُرّاج؛ لأنّه يدرج، أي يختبئ إذا طارده الصيادون. أو باعتبار أنها صفة غالبة عليه؛ لأنّه يدرج ليله كله. أو الكثير الطواف.

ب – يطلق على الذكر، الخَيْقُطان، والديلم.

ج – يكنى الدُرّاج، بـ(ابوالحجاج، وأبو خطار، وابو ضَبّة).

ثانياً - عند علماء الطبيعة:

وأهم ما يمكن بحثه هو التالي:

أ - فصيلتها:

قال الشيخ رسول كاظم: «.. من فصيلة الطيور الشبيهة بالدجاج في ميزات منقارها وأجنحتها»[٣٩].

وقال معلوف: «طائر شبيه بالحَجَل واكبر منه، أرقط بسواد وبياض، فصير المنقار يطلق على الذكر والأنثى»[٤٠].

وقال الدميري: «وقال ابن سيده: الدراج طائر شبيه بالخَيْقُطان... ، وأما الجاحظ؛ فجعله من أقسام الحمام ؛ لأنّه يجمع فراخه تحت جناحيه، كما يجمع الحمام»[٤١].

---

٣٩ – كاظم ، الشيخ رسول : حياة الحيوان عند أهل البيت (ع) / ٣٢٠ .

٤٠ – معلوف ، لويس : لمنجد في اللغة / ٢١١ .

٤١ – الدميري ، كمال الدين : حياة الحيوان ج١ / ٤٢٧ .

وفي الموسوعة العربية العالمية : «نوع من طيور الحَجَل، طوله ٣٠ سم، وقد يكون له كثير من الخطوط والنقط، والذكر منه يكون عادة أسود، وأبيض اللون، وذا رأس أسود جميل، وبقع بيضاء على الأذن. أما الأنثى منه ؛ فعادة ما تكون بُنيّة اللون»[٤٢].

وقال الشيخ رسول كاظم: «من فصيلة الطيور الشبيهة بالدجاج في ميزات منقارها وأجنحتها»[٤٣].

أقول : بعد عرض ما ذكروه في فصيلة الدُرّاج ؛ إتضح لنا أنهم إختلفوا في فصيلته ، وسبب الاختلاف ناشئ من التقارب الموجود بينه وبين الطيور الأخرى، من حيث الشكل والحركة ونحو ذلك، فالأوائل ذكروا فصيلته من الدجاج، والحيقُطان، والحمام، وأما المتأخرون فأدرجوه في فصيلة الحَجَل.

ب - بيئتها :

في الموسوعة العربية العالمية: «ويعيش الدُرّاج المعروف في أجزاء من جنوبي آسيا، وجنوبي أوروبا. وهناك أنواع أخرى من الدراج قد تكون فاتحة الألوان بدرجة اكبر، وتعيش في أنحاء أفريقيا، وجنوب آسيا وأوروبا»[٤٤].

وقال الشيخ رسول كاظم : «يبقى معظم أوقاته في البر يفتش عن الحبوب والأثمار الصغيرة والحشرات والديدان»[٤٥].

---

٤٢ - الموسوعة العربية العالمية ، ج١٠ / ٢٨٠ .

٤٣ - كاظم ، الشيخ رسول : حياة الحيوان عند أهل البيت (ع) / ٣٢٠ .

٤٤ - الموسوعة العربية العالمية ، ج١٠ / ٢٨٠ .

٤٥ - كاظم ، الشيخ رسول : حياة الحيوان عند أهل البيت (ع) / ٣٢٠ .

وقال الدميري: «وتطيب نفسه على الهواء الصافي وهبوب الشمال، وبسوء حاله بهبوب الجنوب حتى إنّه لا يقدر على الطيران... ومن شأنه أنه لا يجعل بيضه في موضع واحد، بل ينقله لئلا يعرف أحد مكانه، ولا يتسافد في البيوت وانما يفعل ذلك في البساتين»[٤٦].

وقال الجاحظ: «وأما القَبَج والدُرّاج؛ فهما يبيضان بين العُشب، ولا سيما فبما طال شيئاً والتوى»[٤٧].

ج - خصالها وصفاتها:

قال الدميري: «وهو طائر مبارك كثير النتاج، مبشر بالربيع وهو القائل: بالشكر تدوم النعم، وصوته مقطع على هذه الكلمات»[٤٨].

وفي الرواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : (.. قال : الدُرّاج يقول : الرحمن على العرش استوى)[٤٩].

وذكر الجاحظ - الأجناس الفاضلة من الحيوان - : «وللعصفور فضيلة أخرى ؛ وذلك أنّ من فضل الجنس أن تتميز ذكورته في العين من إناثه، كالرجل والمرأة، والدِّيك والدجاجة، والفُحّال والمُطعِمة، والتّيْسِ والصّفيّة، والطاوس، والتُّدْرُج، والدُرّاج وإناثها»[٥٠].

---

٤٦ - الدميري ، كمال الدين : حياة الحيوان ج١ / ٤٢٧ .

٤٧ - الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر : كتاب الحيوان ، ج٣/ ١٧٠ .

٤٨ - الدميري ، كمال الدين : حياة الحيوان ج١ / ٤٢٧ .

٤٩ - المجلسي ، الشيخ محمد باقر : بحار الأنوار ، ج١٤ / ٤١٢ .

٥٠ - الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر : كتاب الحيوان ، ج٤/ ٤٧٨ .

وذكر أيضاً: «ولهن من الحسن مقدار، كإناث الدُرّايج والقُبَج والـدجاج والحمام والورشين وأشباه ذلك»[٥١].

د - علاقتها مع الإنسان وغيره:

ذكر الجاحظ: «والملوك تقدمه «أي لحم الدجاج» على لحـم الفـراخ والنواهض، والبط والدُرّاج، وهم للدُرّاج آكل منهم للحداء الرُّضّع»[٥٢].

وقال الجاحظ: «وانّما يذبحون الدِّيَكة والبَطّ والدّجاج والدُرّاج مـن أوّل الليل ليسترخي لحمها»[٥٣]. هذا ما أردنا دراسته حول شخصية الدُرّاج.

٦ - الحَيّة:

يمكن دراسة شخصية الحيّة من النواحي التالية:

أولا - عند أهل اللغة:

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: «والحيّة إشتقاقها من الحياة ، ويقال : هي في أصل البناء ؛ حَيْوَة .

ولكنّ الياء والواو إذا إلتقتا وسُكّنت الأولى منهما جعلت ياءً شـديدة . ومن قال لصاحب الحيّات: حاي، فهو «فاعل» من هذا البناء؛ صارت الـواو كسرة كواو الغازي.

---

٥١ - المصدر السابق ، ج٥/ ٤٧٣ .

٥٢ - نفس المصدر ، ج٢/ ٢٤٩ .

٥٣ - نفس المصدر ، ج١/ ٢٢٩ .

ومن قال: حَوّاء على فَعّال؛ فإنّه يقول: إشتقاق الحيّة من حَوَيْتُ؛ لأنّها تتحوّى في إلتوائها، وكذلك تقول العرب»[٥٤].

وفي معجم الزولوجي: «بفتح الحاء يطلق على الذكر والأنثى، كنيتها أبو البحتري، وأبو الربيع، وأبو عثمان، وأبو العاصي، وأبو المذكور، وأبو يقظان، وأبو طبق، هذه للذكر.

وأما الأنثى؛ أم عافية، وأم الفتح، وأم محجوب، وبنات طبق، تُعد من الرتبة الثالثة من الزواحف، وهو إسم شامل في علم الحيوان للزاحفة التي جسمها إسطواني»[٥٥].

وقال الدميري: «إسم يطلق على الذكر والأنثى، فإن أردت التمييز؛ قلت: هذا حَيّة ذكر، وهذه حَيّة أنثى، قاله المبرد في الكامل. وإنّما دخلته الهاء؛ لأنّه واحد من جنس، كبطّة ودجاجة، على أنّه قد روي عن بعض العرب: رأيت حيا على حية؛ أي ذكراً على أنثى، وفلان حية ذكر والنسبة إلى الحيّة حيوي والحيوت، ذكر الحيّات. أنشد الأصمعي:

ويأكل الحية والحيوتا ويخنق العجوز أو تموتا

وذكر ابن خالويه لها مائتي إسم»[٥٦].

---

٥٤ - الفراهيدي ، الخليل بن أحمد : كتاب العين /٢٢٦ .

٥٥ -كاظم ، الشيخ رسول : حياة الحيوان عند أهل البيت (ع) / ٢١٨ .

٥٦ - الدميري ، كمال الدين : حياة الحيوان ج١ / ٣٤٩ .

ثانياً - عند علماء الطبيعة:

وأهم ما يمكن دراسته عندهم هو التالي:

أ - فصيلتها:

تنتمي الحيات إلى رتبة أو مجموعة من الحيوانات تدعى الزواحف. وتضم الزواحف أيضاً التماسيح والسحالي والسلاحف.. يزعم العلماء أنّ لديهم دليلاً على أنّ الحيات وجدت منذ ١٠٠ مليون سنة - وكانت تلك الحيات تشبه السحالي أكثر مما تشبه الزواحف الأخرى. لكن الحيات بخلاف معظم السحالي، تفتقر إلى الأرجل والجفون المتحركة والفتحات الخارجية للأذن، كما أنّ حراشفها وجماجمها تختلف أيضاً عن جماجم وحراشف السحالي. ويعتقد بعض العلماء أنّ الحيات قريبة من السحالي التي تحفر الأرض؛ وذلك بسبب التركيب الخاص لعيونها. ويعتقد أيضاً أنّ فقدانها للأرجل، ربما جاء نتيجة مرحلة الحفر تلك»[٥٧].

ب - أنواعها:

«هناك نحو ٢٧٠٠ نوع من الحيات التي تصنف ضمن فصائل مختلفة، وذلك إعتماداً على الصفات الهيكلية المشتركة بصورة رئيسية، يقسم غالبية علماء الزواحف الحيات إلى ١٢ فصيلة، والأسماء الشائعة لهذه الفصائل هي:

١ - **الحنشيات:** وتضم حوالي ٢٠٠٠ نوع وتمثل ثلثي أنواع الحيات جميعاً. وتتضمن هذه الفصيلة معظم الحيات غير المؤذية، مثل حيات الغرطر،

---

٥٧ - الموسوعة العربية العالمية ، ج ٩ / ٦١٥-٦١٦ .

وحيات الجرذان الأمريكية الشمالية. وتضم أيضاً العديد من أنواع الحيات السامة خلفية الأنياب، مثل حيات الطير الإفريقية والبومسلانج تشكل خطراً على الإنسان، وتعيش الحنشيات في معظم أنحاء العالم، وتختلف أنواعها كثيراً في المظهر وطريقة المعيشة، فهي تعيش على الأرض والشجر وفي المياه، أو تحت الأرض.

٢ - **الحيات العمياء**: وتتألف من ٢٠٠ نوع تقريباً، هذه الحيات تحفر أنفاقاً تحت الأرض، وتتغذى بشكل رئيسي بالنّمل والنمل الأبيض، وتشبه الحيات العمياء ديدان الأرض كثيراً، مع أنّ بعض الأنواع يصل طوله إلى ٩٠ سم تقريباً. من المعروف أنّ عينيها مغطاتان بحراشف الرأس. وتعيش معظم الحيات العمياء في المناطق الإستوائية وشبه الإستوائية.

٣ - **الحيات العمياء البدائية**: حيات صغيرة دودية الشكل تعيش بين الأوراق المتساقطة في أراضي الغابات المطيرة في أمريكا الجنوبية والوسطى؛ وهي تتغذى بالحشرات الصغيرة والديدان، وهي قريبة الشبه بالحيات العمياء، يوجد منها نحو ٢٠ نوعاً معروفاً.

٤ - **الحيات الخيطية**: وتمثل ٥٠ نوعاً تقريباً، وهي شديدة الشبه بالحيات العمياء ولها طرق حياة مماثلة لكن الفرق الرئيسي بين هاتين الفصيلتين، هو أنّ الحيات العمياء لها أسنان على الفك العلوي فقط، أما الحيات الخيطية؛ فلها أسنان على الفك السفلي فقط. وتعيش الحيات الخيطية في أفريقياء وجنوبي آسيا، وجنوب غرب أمريكا الشمالية والوسطى.

٥ - **البوائيات**: وتضم الحيات الضخمة - الأناكندة والأصلات والبُواء. تتألف هذه الفصيلة من نحو ١٠٠ نوع، معظمها له أجسام كبيرة وغليظة، إلاّ أنّ بعض الأنواع يقل طوله عن ٩٠ سم. ومعظم البوائيات له أقدام خلفية أثرية. وتعيش أغلب البوائيات في المناطق الإستوائية وشبه الإستوائى، وتسكن الأنواع المختلفة منها على الأرض، أو فوق الشجر، أو في الماء.

٦ - **الصِّلال**: وهي تتألف من ٢٠٠ نوع تقريباً من الحيات السّامة. وجميعها لديها أنياب أمامية ثابتة قصيرة ، ولا تعيش الصلال في أوروبا. والحيات المرجانية: هي الأفراد الوحيدة من هذه الفصيلة التي توجد في الأمريكيتين الشمالية والجنوبية. وتكثر الصلال في أستراليا، ومنها الحية السوداء الأسترالية وصل الموت والطين وحية النمر. والواقع أن كوبريات إفريقيا وآسيا والكريت في جنوبي آسيا والمامبا السوداء في أفريقيا هي أيضاً من الصلال. وتعيش معظم الصلال على الأرض.

٧ - **حيات البحر**: تتألف هذه الفصيلة من ٥٠ - ٦٠ نوعاً من الحيات السامة، وهي قريبة من الصلال. يصل طول معظم حيات البحر إلى نحو ٩٠ - ١٢٠ سم، ولها جسم مفلطح من الجانبين في جميع الأنواع. تعيش معظم حيات البحر في المياه الساحلية بين المناطق الإستوائية من المحيطين الهندي والهادئ، ونادراً ما توجد على أعماق أكثر من ٤٦ م. وفي بعض الأحيان تشاهد مجموعات كبيرة من حيات البحر في البحر المفتوح. ويعتقد العلماء أنّ الحيات تجتمع بعضها مع بعض بسبب التيارات المدية. ولا تسكن حيات البحر في المحيط الأطلسي، أو البحر الأبيض المتوسط،

أو البحر الأحمر . وتضع معظم حيات البحر مواليدها في الماء ، إلاّ أنّ قلة من الأنواع تذهب إلى الساحل لموضع البيض.

٨ – **الأفاعي** : وهي ذات أنياب طويلة متصلة بمقدمة الفك العلوي ، يلتف الفك العلوي . معطياً الأفعى السَامّة القدرة على تحريك أنيابها إلى الأمام وإلى الوراء. وأنياب الأفاعي السامة أكثر طولاً من أنياب الصلال، وربما تمتاز أفعى الجابون السّامة الأفريقية بأطول الأنياب بين الحيات السامة، فقد ينمو النّاب إلى نحو ٥ سم طولا. وتقسم الأفاعي السامة إلى مجموعتين رئيسيتين: الأفاعي الحُفَرية السامة، والأفاعي الحقيقية السامة. للأفاعي الحُفَرية أعضاء حفر بين عينيها وفتحتي أنفها. وتضم الأفاعي الحُفَرية ١٠٠ نوع تقريباً، وهي توجد في جميع القارات باستثناء استراليا، والقارة القطبية المتجمدة الجنوبية (أنتاركتيكا)، وتضم الأفاعي نحاسية الرأس الأمريكية الشمالية، والأفاعي الجرسية، وأفاعي الماء السامة. وليس لدى الأفاعي الحقيقية أعضاء للحفر؛ وهي تتألف من نحو ٥٠ نوعاً تقريباً تعيش في أفريقيا وآسيا وأوروبا. تضم الأفاعي الحقيقية أفعى الجابون السامة، والأفعى السامة الأوروبية.

٩ – **الحيات مُدرّعة الذيل** : وتتألف من نحو ٤٥ نوعاً من الحيات الحفّارة، وتعيش جميعها في سريلانكا وجنوبي الهند. ولهذه الحيات خطم مدبب جداً، أو اسفيني الشكل، وذيل قصير مُثَلّم وحراشف ملساء. وتعيش معظم أنواع الحيات المدرعة الذيل في الغابات الجبلية الرطبة.

١٠ - **الحيات الأنبوية** : وتتألف من ١٢ نوعاً تقريباً من الحيات الحفّارة. لها جسم غليظ وذيل قصير، وهي تنمو إلى أقل من ٩٠ سم في الطول. وتعيش في جنوبي آسيا، وأمريكا الجنوبية.

١١ - **حيات شعاع الشمس** : وتتألف من نوع واحد. تعيش هذه الحيات في جنوب شرقي آسيا، ولها حراشف شديدة اللمعان، تتألق في شعاع الشمس، وتبقى عادة تحت الجذوع، أو الحجارة، أو في الجحور أثناء النهار وتتحرك أثناء الليل.

١٢ - **حيات خرطوم الفيل** : وتدعى أيضاً حيات المبرد وتضم نوعين. وحيات خرطوم الفيل، لها جسم غليظ جلد مجعد. ويصل طول هذه الحيات إلى ٢/٥ م، ويتم صيدها بكثرة من أجل جلدها. وتعيش في الأنهار والمياه الساحلية في جنوبي آسيا وشمالي أستراليا، وجنوبي جزر المحيط الهادئ»[٥٨].

قال الجاحظ : «وكل شيء في الماء مما يعايش السمك، مما أشبه الحيّات كالمار ما هي، والأنكليس، فإنّها كلها على ضربين: فأحدهما من أولاد الحيات إنقلبت بما عرض لها من طباع البلد والماء. والآخر من نسل سمك وحيات تلاقحت؛ إذ كان طباع السمك قريباً من طباع تلك الحيات. والحيات في الأصل مائية وكلها كانت حيات»[٥٩].

---

٥٨ - الموسوعة العربية العالمية ، ج٩ / ٦٢٧-٦٣٠ .

٥٩ - الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر : كتاب الحيوان ، ج٤/ ١٢٩ .

وعَلّق على هذا عبد السلام هارون بقوله : «المارماهي : ضرب من السمك الشبية بالحيات، وليس بحيات واللفظ فارسي، وضبطت راؤه بالكسر.

الأنكليس: ضرب من حيات الماء. وقد جعل الجاحظ هذا وما قبله نوعين. وقد وجدت الدميري يقول: إنهما نوع واحد. وقال داود في التذكرة: مارماهي؛ هو حيات الماء المعروف عندنا بالأنكليس، سمك شبيه بالحيات ، ولفظه يوناني معرب كما في معجم المعلوف ١١. وضبطه صاحب القاموس، وكذا الدميري، بفتح الهمزة واللام وبكسرهما، ويقال فيه أيضاً: أنقليس»[٦٠].

وقال الجاحظ: «والحيات المائية، إما أن تكون بريّة أو جبلية، فاكتسحتها السيول واحتملتها في كثير من أصناف الحشرات والدّوابّ والسّباع، فتوالدت تلك الحيات وتلاقحت هناك. وإما أن تكون كانت أمهاتها وآباؤها في حيات الماء. وكيف دارت الأمور، فإنّ الحيات في أصل الطبع مائية. وهي تعيش الندى وفي الماء، وفي البرِّ والبحر، وفي الصخر والرمل. ومن طباعها أن ترق وتلطف على شكلين: أحدهما لطول العمر، والآخر للبعد من الرّيف. وعلى حسب ذلك تعظم في المياه والغياض»[٦١].

---

٦٠ - المصدر السابق/ ١٢٩ .

٦١- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر : كتاب الحيوان ، ج٤/ ١٢٨ .

ج - بيئتها وطبيعة حياتها:

١ - بيئتها:

«تكاد الحيات تعيش في كل مكان من الأرض، فهي تعيش في الصحاري والغابات والمحيطات والجداول والبحيرات وتقيم العديد من الحيات على الأرض، وبعضها الآخر يعيش تحت الأرض. وبعض الحيات تعيش فوق الشجر، ولا تزال أنواع أخرى تقضي معظم وقتها في الماء، وهناك مناطق قليلة من العالم تخلو من الحيات، لكن الحيات لا تستطيع البقاء في المناطق المتجمدة طوال العام، ولا تعيش في المناطق القطبية، أو المرتفعات العالية من الجبال وبالإضافة إلى ذلك، فلا توجد حيات في الجزر، بما في ذلك أيرلندا ونيوزيلندا . عموماً، تتلخص حياة الحية بشكل رئيسي في تنقلها بمفردها بحثاً عن الغذاء، أو من أجل التزاوج، وتنشط معظم الحيات أثناء النهار، بينما يتحرك بعضها ليلا ويستريح نهاراً، وفي بعض الأحيان، تظل الحيات خاملة لفترات طويلة بسبب الطقس البارد او الحار، أو بسبب قلة مخزونها من الغذاء. وتمكث بعض الحيات في منطقة محدودة جداً، فمثلاً بينت دراسة على أفاعي البراري الجرسية أنّ الذكور تتجول في منطقة قطرها ١/٢ كم، بينما تتجول الإناث في منطقة قطرها ٠/٢٧ كم تقريباً.

تظهر الحيات غالباً وهي تسعى بسرعة على الأرض، ولكنها في الحقيقة تتحرك ببطء مقارنة بكثير من الحيوانات الأخرى ، وقد قدرت سرعة حيات الغرطر والأصلات، وبعض الحيات الأخرى بحوالي ١/٥ كم في الساعة فقط،

وأكبر سرعة مسجلة هي للمامبا السوداء الإفريقية ، التي يمكن أن تتحرك بسرعة ١١ كم في الساعة لمسافة قصيرة.

٢ - تكاثرها:

تتكاثر جميع الحيات جنسياً. وفي التكاثر الجنسي تتحد النطفة (الحيوان المنوي)، أو الخلية الجنسية الذكرية مع المبيظة، أو الخلية الجنسية الأنثوية، مكونة البيضة الملقحة، ثم تتطور البيضة الملقحة إلى حية جديدة. ولذكور الحيات زوج من الأعضاء الجنسية يدعى كل منهما باسم نصف القضيب، وتقع داخل الذيل وتبرز إلى الخارج عبر فتحة الشرج، وفي أثناء التزاوج يلف الذكر ذيله تحت الأنثى مدخلاً أحد نصفي القضيب في مذرقها لموضع النطاف (الحيوانات المنوية)، وتستطيع النطفة (الحيوان المنوي) البقاء داخل جسم الأنثى ما بين أشهر عديدة وأكثر من سنة في بعض الأنواع، وبذلك يصبح البيض مخصباً بعد فترة طويلة من حدوث التزاوج. ولا تمكث ذكور وإناث الحيات معاً بعد التزاوج، وفي مناطق ذات الصيف الدافئ والشتاء البارد، تتزاوج معظم الحيات في الربيع أو الخريف. أما في المناطق الإستوائية؛ فقد يتم التزاوج في أي وقت من الأوقات. تضع معظم إناث الحيات بيضها عادة في حفرة ضحلة، أو في جدوع شجر، وقد تختار ما كان متحللاً منها، أو في أماكن مشابهة، وفي بعض الأحيان تضع ١٠٠ حية، أو أكثر بيضها في المكان نفسه، ويختلف كثيراً عدد البيض الذي تضعه الأنثى كل مرّة بين الأنواع المختلفة. وفي كثير من أنواع الحيات تضع الانثى ما بين ٦ - ٣٠ بيضة كل مرة، بينما تضع الأصلات الضخمة في العادة ٥٠ بيضة تقريباً، وأحياناً أكثر من ١٠٠ بيضة.

تهجر معظم إناث الحيات بيضها بعد وضعه إلاّ في قليل من الأنواع، كالأصلات الهندية، وملوك الكوبرا التي تلتف إناثها فوق البيض وتحرسه، والأصلات الكبيرة هي الحيات الوحيدة التي تحضن بيضها، حيث تلف أنثى الأصلة جسمها حول البيض، وتقلص عضلاتها لإنتاج الحرارة إذا كانت درجة الحرارة منخفضه وبهذه الطريقة، تبقي بيضها دافئاً في درجة حرارة ٢٩م، مما يساعد على الفقس، لكن قشور بيض الحية جلدية وتتمدد مع نحو الجنين بداخلها، وتفقس الحيات الصغار خلال ٨ - ١٠ أسابيع تقريباً. وتحمل إناث بعض الأنواع بيضها داخل الجسم لأسابيع عدّة قبل وضعه، ونتيجة لذلك يكون البيض كامل النمو عند وضعه، ويفقس خلال ٢ - ٤ أسابيع. وعندما يكون البيض جاهزاً للفقس، تشق الحيات الصغار القشور بواسطة سن خاص ينمو في الفك العلوي، ويطرح ذلك السن بعد خروج الحيات الصغار من القشور، والواقع أنّ خُمس أنواع الحيات تشارك في عمليه إنتاج الصغار.

وتستمر فترة الحمل بين معظم تلك الأنواع نحو (١ - ٣ أشهر تقريباً). وقد يكون لبعض الأنواع أكثر من ١٠٠ صغير في المرّة الواحدة، غير أن معظمها تحمل أقل من ذلك كثيراً.

٣ - العادات الغذائية:

تأكل معظم الحيات الطيور والسمك والضفادع والسحالي، وبعض الثدييات الصغيرة، مثل الأرانب والجرذان وتأكل بعض الحيات - ومنها ملوك الكوبرا الآسيوية. وملوك الحيات الأمريكية - حيات أخرى.

وللعديد من الحيات عادات غذائية خاصة جداً، وعلى سبيل المثال، بعض الأنواع تأكل بشكل رئيسي القواقع؛ ولذلك، فإنك تجد أن الأسنان والفك السفلي لبعض الحيات آكلات القواقع متكيفة خصيصاً لسحب القوقع من أصدافها. وللحيات الخيطية، التي تشبه الحيات العمياء فم صغير، وتتغذى بشكل رئيسي بالنمل الأبيض، حيث تستطيع هذه الحيات إمتصاص ما بداخل البطن من جسم النملة البيضاء، تاركة الأجزاء الأقل قابلية للهضم. وتتغذى أنواع معينة من الحيات بالبيض، ولهذه الحيات إبر طويلة داخل حلقها على فقرات الرقبة. وبعد أن تتناول الحية البيضة، تثقب قشرتها مستخدمة تلك الإبر، ثم تسحقها بوساطة العضلية، ثم تمرر محتويات البيضة عبر الحلق، إلاّ أنّ الإبر الفقارية تمنع مرور القشرة التي تلفضها الحية إلى الخارج فيما بعد»[٦٢].

٤ - فترة الحياة:

لا يعرف علماء الزواحف كم تعيش الحيات في البرية ؟ لكن من المعروف أنّ معظم الحيات تعيش في حدائق الحيوان أكثر من ١٥ عاماً، وقد تعيش بعضها نحو ٢٠ عاماً في الأسر، وقد يعيش القليل لأكثر من ٣٠ عاماً»[٦٣].

د - علاقتها مع الإنسان والحيوان:

قال الجاحظ: «ولولا علم النّاس بعداوة الحيّات لهم، وأنّها وحشية لا تأنس ولا تقبل أدباً، ولا ترعى حَقّ تربية، ثم رأوا شيئاً من هذه الحيات البيض، المنقّشَة الظُّهور - لما بيّتوها ونَوّموها إلاّ في المهد مع صبيانهم»[٦٤].

---

٦٢ - الموسوعة العربية العالمية ، ج٩ / ٦١٦-٦٢٧ .

٦٣ - نفس المصدر ، ج٩/ ٦٢٧ .

٦٤ - الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر : كتاب الحيوان ، ج٤/ ٩٧ .

وأما بالنسبة للحيوان؛ فقد ذكرنا في عادات غـذائها كيـف تفتـرس الحيوانات والطيور والحشرات. إلاّ أنّ هناك بعض الحيوانات والطيور والحشرات تأكل الحيات، نذكر منها ما يلي:

قال الجاحظ: «والأجناس التي تأكل الحيّات: القنافذ، والخنازير، والعِقبان، والسنانير، والشاهُمْرك على أنّ النسور والشاهمرك لا يتعرضان للكبار»[٦٥].

وقال أيضاً: «.. ما يسلّط عليها من القنافذ والأوعال والـوَرَل؛ فإنّهـا تطالبها مطالبة شديدة، وتقوى عليها قوة ظاهرة، والخنازير تأكلها»[٦٦].

وقال أيضاً: «وزعم صاحب المنطق: أنّ العقاب تأكل الحَيّات، وأنّ بينهما عداوة؛ لأن الحية أيضاً تطلب بيضها وفراخها»[٦٧].

وقال أيضاً: «والورل يقوى على الحيّات ويأكلها أكلاً ذريعاً. وكلّ شدّة يلقاها ذو حجر منها فهي تلقا مثل ذلك من الورَل. والورل ألطف جرماً مـن الضب»[٦٨].

٧ - السمكة:

يمكن دراسة السمك من النواهي التالية:

---

٦٥ - المصدر السابق، ج٦/٣٧٤.

٦٦ - نفس المصدر، ج٦/٥٥-٥٦.

٦٧ - نفس المصدر، ج٢/٥٠.

٦٨ - نفس المصدر، ج٤/١٥٠.

أولا - عند اللغويين:

«السَمَك: حيوان مائي، وهو أنواع كثرة. واحدته سَمَكة، وجمعه سِمَاك وسُموك وأسماك»[٦٩].

وفي معجم الزولوجي: «بالفتح حيوان من خلق الماء جمعه أسماك، سمي بذلك؛ لأنّه سمك من الماء، أي رفع فارتفع..»[٧٠].

ثانياً - عند علماء الطبيعة:

وأهم ما يمكن دراسته عندهم هو التالي:

أ - فصيلتها:

قال البعلبكي: «السَّمك: حيوان فقاري مائي من طائفة الأسماك Pisces. أبرز خصائصه تنفُّسُهُ من طريق الخياشيم؛ أما الحيوانات المائية الأخرى، كالحوت وخنزير البحر فلا تُعبَّر من الأسماك؛ لأنّها ذات رئات تتنفس بها وذات أثداء تُرضع بها صغارها... والأسماك أكثر الفقاريّات أنواعاً؛ إذ يزيد عدد أنواعها على ثلاثين ألفاً، بعضها بحري وبعضها نهري. وأصغر الأسماك القوبيون Goby الذي يبلغ متوسط طوله عشرة سنتيمترات، واكبرها القرش الحوتي الذي يبلغ طوله حوالي تسعة أمتار..»[٧١].

---

٦٩ - موسى، حسين يوسف: الإفصاح في فقة اللغة، ج٢ / ٩٧٤.

٧٠ - كاظم، الشيخ رسول: حياة الحيوان عند أهل البيت (ع) / ٣٦٤.

٧١ - البعلبكي، منير: موسوعة المورد العربية، ج١ / ٦٣٧.

وفي الموسوعة العربية العالمية: «الأسماك : فقاريات (حيوانات ذوات عمود فقاري) تعيش في الماء. ويزيد انواعها على عدد جميع أنواع الفقاريات الأخرى التي تعيش في الماء وعلى اليابسة مجتمعة. وتتفاوت أنواع الأسماك تفاوتاً كبيراً في شكلها ولونها وحجمها. وكذا من العسير الجزم بأنها تنتمي للمجموعة نفسها من الحيوانات ، فمثلاً تشبه بعض الأسماك كتلة الصخر، ويشبه بعضها الآخر الديدان الملتوية، وبعضها ذو أجسام مفلطحة مثل الفطائر، وبعض الأسماك الأخرى تنتفخ أجسامها كالبالونات. وللأسماك ألوان قوس قزح جميعها، وللكثير منها ألوان بديعة كألوان الطيور الزاهية، وتشكل ألوانها الحمراء والصفراء والزرقاء والارجوانية الغنية مئات الأنماط الجميلة من خطوط وأشرطة مزركشة وبقع ملونة .

وأصغر الأسماك قاطبة سمكة القوبيون القزمة التي تعيش في الفلبين ، وهذه السمكة لا يتجاوز طولها ١٥ مم .

أما أكبرها على الإطلاق؛ فهو قرش الحوت الذي يصل طوله إلى ١٢م، ووزنه إلى ١٥ طن»[٧٢].

ب - أنواعها:

«قام العلماء بتسمية ووصف ما يقرب من ٢٢٠٠٠ نوع من السمك، ويكتشف العلماء كل عام أنواعاً جديدة . وبذلك يزيد عددها دوماً. وتُكوِّن

٧٢ - الموسوعة العربية العالمية ، ج٢ / ٧٧-٧٨ .

الأسماك أكثر من نصف أنواع الحيوانات الفقارية المعروفة كلها. ويقسم أولئك العلماء الأسماك إلى مجموعتين رئيسيتين:

المجموعة الأولى - الأسماك الفكية:

أي ذوات فكوك، وكل الأسماك تقريباً لها فكوك، ويمكن تقسيمها باعتبار هياكلها إلى قسمين:

١ - منها ما يتكون هيكلها من مادة صلبة مرنة تسمى الغضروف. وينتمي إلى هذه المجموعة ما يلي:

أسماك القرش والشفنين والكمير:

يبلغ العدد الكلي لأنواع القروش والشفنين نحو ٨٠٠ نوع؛ أي ما يقارب ٣% من الأسماك المعروفة كلها، وتمتاز القروش بوجود فكوك ولديها هيكل غضروفي. وتعيش كلها في المياه الملحة تقريباً، وتُعدّ أسماك القرش والشفنين أكثر أعضاء هذه المجموعة أهمية وتُكوِّن نحو ٧٦٠ نوعاً.

وتشمل أسماك الكمير، أو سمك الجرز ما يقارب ٣٠ نوعاً، والسمكة من هذين النوعين متوسطة الحجم وعيناها كبيرتان، وذيلها طويل مسحوب ومدبب، وتعيش بالقرب من قاع البحر، وللعديد من الأنواع فم طويل مدبب.

٢ - ما يتكون هيكلها معظمه من العظم، ويطلق على أفرادها الأسماك العظمية، وتنقسم الأسماك العظمية - طبقاً لتكوين هياكلها - إلى مجموعتين رئيسيتين:

الأولى - الأسماك العظمية الحديثة :

وهي تشتمل على نحو ٢٠٠٠٠ نوع تُكوّن ما يقارب ٩٥% من جميع الأسماك المعروفة.

الثانية - الأسماك العظمية البدائية :

تشمل نحو ١٥ نوعاً من سمك البتشير والسيلا كانث، والسمكة الرئوية. وتمثل هذه المجموعة أقل من ١% من أنواع الأسماك، ولهذه الأسماك ذات الأشكال الغريبة صلة وثيقة بالأسماك التي عاشت منذ ملايين السنين. وتعيش جميع الأسماك العظمية البدائية - ما عدا أسماك السيلا كانث - في المياه العذبة، ويعيش السيلا كانث في المياه البحرية المتاخمة للشاطئ الجنوب الشرقي لإفريقا، وهي ليست وثيقة الصلة بأي سمكة أخرى تعيش حالياً. ويوجد نوع واحد فقط من أسماك السيلا كانث. وتعيش أسماك البتشير في إفريقيا الإستوائية: وهي أسماك بطيئة الحركة وجسمها طويل ونحيل ومغطى بقشور سميكة وتعيش الأسماك الرئوية في إفريقيا واستراليا وأمريكا الجنوبية؛ وهي تتنفس بأعضاء تشبه الرئات، والخياشيم أيضاً، ويمكن للأنواع التي تعيش في إفريقيا وأمريكا الجنوبية أن تبقى دون غذاء أو ماء أطول من أي فقاريات أخرى. ويمكنها أن تعيش مطمورة في الطين شهوراً طويلة في كل مَرّة، وهي لا تشرب ولا تأكل طوال هذه الفترة.

المجموعة الثانية - الأسماك اللافكية :

والأنواع الوحيدة اللافكية هي الجَلَكي والجريِّث:

يُعدّ كل من الجلكي والجريث من بين جميع الأسماك الأكثر بدائية، ويوجد نحو ٣٠ نوعاً من الجلكي وقرابة ١٥ نوعاً من الجريث، ويُكوّن الجلكي والجريث أقل من ١% من جميع أنواع الأسماك، ويعيش الجلكي في المياه المالحة فقط. وأجسام الجلكي والجريث لزجة عديمة القشور، وشكلها يشبه أجسام الأنقليس (ثعبان الماء)، ولكن ليست وثيقة الصلة بالانقليس فهو من الأسماك العظمية.

ثالثاً - بيئتها وطبيعة حياتها:

١ - بيئتها:

تعيش الأسماك في أي مكان يوجد به الماء، فهي تكثر في المياه الدافئة بجنوبي المحيط الهادئ، ومياه المنطقتين القطبية الشمالية والجنوبية حيث المياه المتجمدة، ويعيش بعضها على إرتفاعات عالية في الجداول الجبلية فوق سطح البحر. ويعيش بعضها الآخر تحت سطح البحر في الأعماق السحيقة من المحيط. وقد تُكيّف الكثير من الأسماك للعيش في بعض المناطق الغريبة كالكهوف، وحفر المياه الصحراوية، والسَبْخَات، والمستنقعات، بل يمكن لقلّة من الأسماك بما فيها السمكة الرئوية الأفريقية والأمريكية الجنوبية العيش في الطين المبلل شهوراً عِدّة. وهكذا تعيش الأسماك في كثير من البيئات.

٢ - تكاثرها:

تتكاثر جميع الأسماك جنسياً، وفي التكاثر الجنسي يتحد حيوان منوي (نطفة) مع بيضة في عملية يطلق عليها الإخصاب أو التلقيح ، وتكوّن البيضة

المخصبة فرداً جديداً. وتنتج الذكور المني والإناث البيض في جميع الأسماك تقريباً، وفي أنواع قليلة ينتج الفرد نفسه المني والبيض جميعاً. ويتم إخصاب بيض معظم الأسماك خارج جسم الأنثى ، بيضها في الماء في الوقت نفسه الذي يطلق فيه الذكر المني، وتتم عملية الإخصاب عندما يتلامس بعض المني ببعض البيض، ويطلق على هذه العملية الإخصاب الخارجي، ويطلق على العملية كلها التي يتم خلالها إطلاق البيض والمني وإتمام إخصاب البيض عملية إطلاق الأمشاج، وتتكاثر كل الأسماك العظمية تقريباً بهذه الطريقة ، وتتكاثر القروش والشفنين والكمير، وعدد قليل من الأسماك العظمية؛ كالجبي وسمك البعوض بطرق مختلفة، فيتم إخصاب بيض هذه الأسماك داخل جسم الإنثى؛ وهي عملية تسمى الإخصاب الداخلي، وينبغي أن تتزاوج الذكور مع الإناث لإتمام عملية الإخصاب، تُطلق أناث بعض الأسماك بيضها في الماء قبل الفقس، ويفقس بيض بعض الأسماك الأخرى داخل أجسامها، وبذلك تضع صغار. وتشمل الأسماك التي تحمل صغاراً حية القروش والشفنين، والجبي، وأسماك أبي منقار، وعقرب البحر .

يفقس بيض معظم أنواع الأسماك في أقل من شهرين، ويفقس البيض الذي وضع في مياه دافئة أسرع من ذلك الذي وُضع في مياه باردة. ويفقس بيض الأسماك الإستوائية في اقل من ٢٤ ساعة، ويلزم بيض بعض الأنواع من أسماك المياه الباردة أربعة، أو خمسة شهور ليفقس. وتقوم ذكور أنواع قليلة من الأسماك بحماية صغارها لفترة قصيرة بعد الفقس، وتشمل هذه الأسماك سمك

القاروس كبير الفم، واليوفن وقُدّ الأنهار البُنيِّ، والسمك السيامي المقاتل، وبعض أسماك أبي شوكة، ولكن لا توفر معظم الأسماك الحماية لنسلها.

٣ - غذائها :

تتغذّى معظم الأسماك بالمحاريات والديدان المائيـــة والأسمـــاك الأخـــرى، ويتغذى بعضها بالنباتات المائية، كالطحالب، وبعضها الآخر مترمم ؛ أي يأكل الأجسام الميته للأسماك والحيوانات الأخرى، ويأكل قرش الحوت الكائنات الحيّة الصغيرة التي تطفو على سطح البحر. وتعتمد بعض الأسمـــاك علـــى العوالـــق (الهائمات) بدرجة رئيسية، وهي تشمل السمك الطيّار والرنجة.

٤ - فترة الحياة :

«لم ينص علماء الأسماك على عمر الأسماك بشكل تفصيلي، وذلك لكثرتها وعدم الوصول إلى معرفة فصائلها. والذي تمّ التوصل إليه، هو أنّ بعض أنـــواع السمك الذهبي، يعيش بعض أنواعه طويلا؛ إذ قد يصل عمره إلى أكثر من ٥٠ عاماً، بينما لا يصل عمر السمك المتوحش إلى أكثر من ١٥ عامـــاً. ومعظـــم السمك المترلي يعيش أقل من ٥ سنوات». ومن أراد التوسع المعرفي في عـــالم الأسماك؛ فعليه مراجعة الموسوعة العربية العالميـــة ج ١٣ / ١٠٣ - ١١٦، و ج ٢ / ٧٧ - ١١٩.

ج - علاقتها مع الإنسان وغيره :

يمكن دراسة وايضاح هذه العلاقة من خلال العناوين التالية:

١- علاقة السمك مع بعضه :

تعيش أنواع كثيرة من الأسماك معاً من مجموعات متقاربة ومترابطة يطلق عليها أسراب، وقد تشمل المجموعة أعداداً قليلة أو كبيرة، فمثلاً تتكوّن مجموعة أسماك التونة من ٢٥ فرداً، بينما يصل العدد في كثير من أسراب الرنجة إلى مئات الملايين، وتكون الأسماك في سرب ما من الحجم نفسه تقريباً، ولا يمكن أن توجد الأسماك حديثة الفقس مع الأسماك المكتملة النمو في السرب نفسه، لكن في بعض الأنواع تصبح الأسماك جزءاً من السرب منذ صغرها وتبقى فيه طوال حياتها. وتُكوِّن بعض الأنواع أسراباً لبضعة أسابيع فقط بعد الفقس مباشرة. وترتحل الأسماك في السرب الواحد في تكوينات متقاربة ومترابطة دفاعاً عن نفسها ضد المفترسات، ولكن عادة ما تتفرق أسماك السرب خلال الليل لتقتات ثم تتجمع مرة ثانية في الصبح التالي. كما أنّها سرياً ما تتجمع عند إقتراب أحد المفترسات.

كما تُكوِّن الأسماك أنماطاً أخرى من العلاقات، فمثلاً قد يتجمع عدّة أفراد من أسماك القُدّ، أو الفرخ وغيرهما من الأنواع في المنطقة نفسها للبحث عن الغذاء أو الراحة أو وضع البيض. ولكن هذه المجموعة مُؤقّتة وليست وثيقة الترابط مثل السرب. وقد تُكوّن بعض الأسماك - ومنها أنواع مُعيّنة من السمك الملائكي، والسمك الشفاهي - علاقات فريدة مع الأسماك الكبرى من الأنواع الأخرى، ففي كثير من الأحيان تقوم الأسماك الصغرى بتخليص الأسماك الكبرى من الطفيليّات، أو الأنسجة الميتة، وبذلك تحصل الأسماك الصغيرة على غذائها، وتُنظّف الأسماك الكبيرة في الوقت نفسه.

٢ - علاقة السمك مع الإنسان:

علاقة السمك مع الإنسان قديمة جداً؛ حيث للأسماك أهمية كبرى للإنسان، فيصطادها عُشّاق رياضة الصيد ، ويحتفظ بها الكثير من النّاس للزينة، وإضافة إلى ذلك، فالأسماك ضرورية لحفظ التوازن في الطبيعة؛ لأنها تأكل النباتات والحيوانات، وبدورها تصبح غذاء للنباتات والحيوانات، وبذلك تحفظ الأسماك التوازن في العدد الكلي للنباتات والحيوانات على الأرض.

كما يستمتع بعض النّاس بأسماك الرياضة، وتتصف هذه الأسماك التي تصاد للرياضة بمكرها ودهائها، أو ببعض الصفات الأخرى التي تزيد من الإثارة والمتعة في صيدها، وتشمل هذه الأسماك أنواعاً من أسماك البحر العملاقة: مثل سمك المَرلين، وسمكة السَّيف، وأسماك المياه العذبة: مثل سمك الفرخ، وتروتة قوس قُزح. وتُستخدم الغالبية العظمى من أسماك الرياضة أيضاً غذاء .

كما أنّ هناك أسماكاً ضارّة تهاجم الإنسان أحياناً، منها أنواع معينة من القروش، خاصة قرش أبي مطرقة والقروش البيضاء، وأسماك البرّكودة، وأنقليس المورايّ. كما أنّ بعض أنواع السمك البرانية متعطشة للدماء وفكوكها مزودة بأسنان حادّة كموسى الحلاقة. وبإمكان مجموعة من هذه الأسماك نزع لحم إنسان، أو أي حيوان كبير آخر خلال دقائق، بل ثوان. ولبعض السمك: مثل سمك الشِّفْنين اللّساع، والسمكة الحجرية، أشواك سامة تؤذي أو تقتل أي شيء يلامسها. ولحم القادوح، والأسماك الكروبة، وبعض الأنواع الأخرى سام، وقد يُسبب أكله المرض أحياناً الوفاة .

ومن الأسماك الضّارة، سمكة الأسد الجميلة، لها زعانف تشبه ريش الطير، ولكنها حادة مثل الإبر وتفرز سماً قوياً، وتستخدم زعانفها عادة لمهاجمة الأسماك الأخرى، بل إنها قد تهاجم الغواصين القريبين منها.

٣ - منافع الأسماك:

روى المفضل عن الإمام الصادق (عليه السلام): (فَكِّر الآن في كثرة نسله وما خص به من ذلك، فإنّك ترى في جوف السمكة الواحدة من البيض ما لا يحصى كثرة، والعلّة في ذلك أن يتسع لما يتغذى به من أصناف الحيوان، فإن أكثرها يأكل السمك حتى أنّ السباع أيضاً في حافات الآجام عاكفة على الماء أيضاً؛ كي ترصد السمك فإذا مَرّ بها خطفته، فلما كان السباع تأكل السمك، والطير يأكل السمك، والنّاس يأكلون السمك، والسمك يأكل السمك؛ كان من التدبير فيه أن يكون على ما هو عليه على الكثرة، فإذا أردت أن تعرف سعة حكمة الخالق ، وقصر علم المخلوقين؛ فانظر إلى ما في البحار من ضروب السمك، ودواب الماء والأصداف، والأصناف التي لا تحصى ولا تعرف منافعها إلاّ الشيء بعد الشيء، يدركه الناس بأسباب تحدث، مثل القرمز فإنّه لما عرف النّاس صبغه، بأن كلبة تحول على شاطئ البحر، فوجدت شيئاً من الصنف الذي يُسمى (الحلزون) فأكلته، فاختضب خطمها بدمه، فنظر الناس إلى حسنه، فاتخذوه صبغاً، وأشباه هذا مما يقف عليه حالاً بعد حال، وزماناً بعد زمان)[٧٣].

قال البعلبكي: «الحَلَزُون: حيوان رخويّ من طائفة بَطنيّات الأقدام .. ذوصدفة لولبية الشكل، وزوج من القرون، أو زوجين يبرزان حيناً ويختفيان

---

٧٣ - الخليلي ، محمد : من أمالي الإمام الصادق (ع) ، ج٢ / ٢٠٣-٢٠٤ .

حيناً، بعضه أرضي، وبعضه نهريّ، وبعضه بحري. ومعظم الحلازين يقتات بالنباتات في المقام الأول، ومن دأبها إذا ما أقبل الشتاء أن تنكمش داخل أصدافها، وأن تفرز مادّة دبقة تَجْمد أو تَصْلُب عند تَعرُّضها للهواء، مُشكّلةً حجاباً يقي الحلزون ولا يُعطّل عمليه التنفس، وبعض الحلازين خطر سامّ اللّدغة، وبعضها يؤكل»[٧٤].

٧٤ - البعلبكي، منير: موسوعة المورد العربية، ج١ / ٤٤٥.

الباب الثاني - دراسة الحدث

أولا – وسائل تأثير الحدث

ثانياً – أنواع الحدث

أولا - وسائل تأثير الحدث

١ – عرض الحوادث المثيرة

٢ – التنقل السريع في تسلسل الأحداث

٣ – تصوير الحدث في نفوس المستمعين

١ - عرض الحوادث المثيرة

من تتبع أحداث وسير هذه القصة؛ رأى أنّ هناك عدة أحداث مثيرة ينبغي الوقوف عندها للوصول إلى أهدافها ومعطياتها، وهي كالتالي:

١ - طفل لا يتجاوز عمره التاسعة من عمره ، واقف مع الصبيان لا يشاركهم في لهو هم ولعبهم !.

٢ - مرور موكب المأمون العباسي ، وهرب الأطفال وخوفهم من هيبة موكبه، ووقوف هذا الطفل من دونهم، بقوّة شخصية واثقاً من نفسه، وينتصر على المأمون العباسي، مع ما هو عليه من قوة الهيبة والسلطان!.

٣ - المأمون أطلق البازى الأشهب على دُرّاجة، فأتى له بسمكة أو حَيّة من الجوّ، فلماذا ترك الدُرّاجة وأتى بالسمكة أو الحية، فهل السمكة أو الحية أهم من الدُرّاجة، أم لعجز البازي عنها ؟

٤ - كيف أتى بالسمكة أو الحيّة من الجوّ وبها بقايا من الحياة ؟

٥ - لماذا أتى مرة ثانية وتحدى هذا الطفل، مع العلم بأنّه سلطان عصره ؟

٦ - إجابة الطفل الغيبية تلفت الأنظار، وتدل على أنّه معجزة في حدِّ ذاته !.

لعلّ هذه التساؤلات تثير الحاضرين مع المأمون العباسي من رجاله وكذلك الصبيان، كما تثير إنتباه السامعين للقصة. وستتضح هذه الأحداث تدريجياً مع تناول عناصر الحدث الأخرى.

٢ - التنقل السريع في تسلسل الأحداث:

ومن وسائل القصة في التأثير بالحدث، محاولة التنقل السريع في تسلسل الأحداث، والإعتماد على تتبع الأحداث تتابعاً سريعاً، لخلق جَو ملئ بالحركة، كأنّما نحن أمام مسرح حافل بالنشاط في مشاهد حيوية متتابعة. وهذا ما نجده في هذه القصة، حيث نجد وجود الإمام الجواد (عليه السلام) عند الصبيان، ثم مرور موكب المأمون العباسي ، ثم حواره مع الإمام (عليه السلام)، ثم ذهابه إلى الصيد، ثم إرسال البازي ، ثم مجيئه بالسمكة أو الحية، ثم تفكره وإستغرابه من ذلك ورجوعه إلى الإمام (عليه السلام) وإختباره، واجابة الإمام (عليه السلام) له بالغيبيات ، ثم تصديق المأمون بذلك إلى نهاية القصة. هذه أهم أحداث القصة وتسلسلها.

٣ - تصوير الحدث في نفس القارئ والسامع:

لعلّ من الأمور المهمة في القصة الإعتناء بالحدث، ومدى تاثيره في نفوس مستمعيها وقارئيها، ومن أجل التأثير بالحادثة ؛ نجدها تعرض الحدث في صورة أكثر إثارة، مستعينة في ذلك بكل ما يمكنها من وسائل، لعلّ من أهمها ما يلي:

أ - بداية القصة:

تبدأ القصة مباشرة بحدث تكون اللبنة الأولى في مرحلة البداية التي تنمو عنها بالضرورة المراحل التالية، كما تعطي للقارئ أو المتلقي حيوية وشوقاً تجعله يقبل القصة ، وهذا ما نجده في إفتتاحية القصة : «إجتاز المأمون بابن الرضا(عليه السلام) وهو بين صبيان؛ فهربوا سواه..» .

ب - وسط القصة :

تُشكل منطقة وسط القصة نقطة هامة جداً؛ إذ أنّها تُشكل مجمعاً حيوياً لكثير من العوامل والعناصر المختلفة، التي تنشأ أساساً عن الموقف في البداية، أو مترتبة عليه بطريقة ما، بحيث تتفاعل هذه العوامل والعناصر محدثة آثار جديدة في شخصية القصة وآثارها، ومن هنا فإنّ الوسط في القصة مرحلة نامية ومتطورة أصلا عن بداية القصة، وهذا يُعبِّر عن علاقة وثيقة بين البداية والوسط، مما يؤكد التلاحم العضوي بين مرحلتين هامتين في هيكل بناء القصة، فالبداية تحمل في تضاعيفها الأسباب التي يمكن أن تحدث منها مضاعفات تالية، وبتلك الدوافع النابعة من البداية ينشأ موقف جديد.

ففي القصة ؛ إنّ وقوف الإمام (عليه السلام) بمفرده ؛ ترتب عليه تساؤل المأمون: « فقال: من تكون؟

قال : أنا محمد بن علي ، بن موسى ، بن جعفر ، بن محمّد ، بن علي ، بن الحسين ، بن علي بن أبي طالب (عليه السلام).

فقال : ما تعرف من العلوم ؟ قال : سلني عن أخبار السماوات . فودعه ومضى وعلى يده باز..».

- رأي العلامة السيد جعفر العاملي :

قال العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي: «.. أنّ المأمون حينما سأل الإمام عن نفسه بقوله: «من تكون أنت؟»

قد كان متجاهلاً لا جاهلاً، وذلك لأنّ الإمام الجواد(عليه السلام)، كان قد قدم إلى خراسان في سنة ٢٠٢هـ لزيارة أبيه الإمام الرضا(عليه السلام).. قال في تاريخ بيهق: إنّه عبر البحر من طريق طبس مسينا ؛ لأنّ طريق قومس لم يكن مسلوكاً في ذلك الوقت، وصار مسلوكاً في عهد قريب. فجاء من ناحية بيهق ونزل في قرية «ششتِمدَ» وذهب من هناك إلى زيارة أبيه علي بن موسى الرضا سنة ٢٠٢هـ .. الخ...

ومن البعيد أن لا يكون المأمون قد رآه حينئذ، وأبوه ولي عهده، وهو أيضاً إما كان عقد له على ابنته أم الفضل أو سماها له..»[٧٥].

مناقشة العلامة العاملي:

بعد عرض ما ذكره العلامة العاملي، يمكن مناقشته كالتالي:

أولا – إنّ رواية سفر الإمام الجواد(عليه السلام) إلى أبيه في خراسان غير مُسلّم بها؛ حيث أنّ ناقل الرواية الذي اعتمده – وهو الفقيه السيد محسن الأمين (رحمه الله) – ، قد تردد في الإعتماد على هذه الرواية، بقوله : «وهذا يقتضي أنه حضر لزيارة أبيه في حياته سنة موته أو قبلها بسنة، أو لزيارة قبره بعد موته للخلاف في سنة وفاته أنّها سنة ٢٠٢ أو ٢٠٣ كما مَرّ، و لم نر من ذكر ذلك غيره، وستعرف أنّ المأمون إستدعاه إلى بغداد بعد

٧٥ – العاملي ، السيد جعفر مرتضى : الحياة السياسية للإمام الجواد (ع) /٧٠-٧١ .

وفاة أبيه وزوجه ابنته، فإن صح ما ذكر البيهقي فيكون قد عاد من خراسان إلى المدينة، ثم منها إلى بغداد باستدعاء المأمون، والله أعلم»[٧٦].

ثانياً - يمكن القول بأنّ الإمام الجواد (عليه السلام) لم يذهب إلى خراسان، إلاّ عن طريق المعجزة، ويؤيد هذا ما ذكره الشيخ الصدوق في (عيون أخبار الرضا)، عن أبي الصلت الهروي حيث قال: (... ومكثت واقفاً في صحن الدار مهموماً محزوناً، فبينما أنا كذلك إذ دخل عليَّ شاب حسن الوجه، قطط الشعر أشبه الناس بالرضا (عليه السلام)، فبادرت إليه فقلت له: من أين دخلت والباب مغلق؟ فقال: الذي جاء بي من المدينة في هذا الوقت، هو الذي أدخلني الدار والباب مغلق . فقلت له : ومن أنت ؟ فقال لي : أنا حجة الله عليك يا أبا الصلت ، أنا محمّد بن علي . ثم مضى نحو أبيه (عليهما السلام) ، فدخل وأمرني بالدخول معه ، فلما نظر إليه الرضا (عليه السلام)؛ وثب إليه فعانقه وضمه إلى صدره، وقَبّل ما بين عينيه، ثم سحبه سحباً إلى فراشه وأكب عليه محمّد بن علي (عليه السلام) يقبله ويُسارّه بشيء لم أفهمه ، ورأيت على شفتي الرضا (عليه السلام) زبداً أشد بياضاً من الثلج، ورأيت أبا جعفر (عليه السلام) يلحسه بلسانه، ثم أدخل يده بين ثوبيه وصدره ، فاستخرج منه شيئاً شبيهاً بالعصفور ، فابتلعه أبوجعفر (عليه السلام) ومضى الرضا (عليه السلام) ، فقال ابوجعفر (عليه السلام) : قم يا أبا الصلت إئتني بالمغتسل والماء من الخزانة. فقلت : ما في الخزانة مغتسل ولا ماء ، وقال لي : إئته إليّ ما

---

٧٦ - الأمين ، السيد محسن : أعيان الشيعة ، ج٢/ ٣٣ .

آمرك به . فدخلت الخزانة، فإذا فيها مغتسل وماء فأخرجته وشمرت ثيابي لأغسله. فقال لي : تنح يا أبا الصلت، فإنّ لي من يعينني غيرك ، فغسله، ثم قال لي : إدخل الخزانة، ثم قال لي: إدخل الخزانة، فاخرج إلي السفط الذي فيه كفنه وحنوط فدخلت، فإذا أنا بسفط لم أره في تلك الخزانة قط، فحملته إليه فكفنه وصلى عليه، ثم قال لي: إئتني بالتابوت . فقلت: أمضي إلى النجّار حتى يصلح التابوت ؟ قال : قم فإنّ في الخزانة تابوتاً. فدخلت الخزانة فوجدت التابوت، وصف قدميه وصلى ركعتين لم يفرغ منهما حتى علا التابوت وانشق السقف، فخرج منه التابوت ومضى. فقلت : يابن رسول الله الساعة يجيئنا المأمون وبطالبنا بالرضا (عليه السلام) فما نصنع ؟ فقال لي : إسكت فإنه سيعود يا أبا الصلت، ما من نبي يموت بالمشرق ويموت وصيه بالمغرب إلاّ جمع الله بين أرواحهما وأجسادهما، وما أتمّ الحديث حتى انشق السقف ونزل التابوت، فقام (عليه السلام) فإستخرج الرضا (عليه السلام) من التابوت ووضعه على فراشه ، كأنه لم يغسل و لم يكفن ثم قال لي : يا أبا الصلت ، قم فافتح الباب للمأمون. ففتحت الباب ، فإذا المأمون والغلمان بالباب... الخ»[٧٧].

ثالثاً – إنّ ما بأيدنا من روايات في تاريخ الإمامين الرضا والجواد (عليه السلام)، لم تثبت هذا السفر، ولو فرضنا تحققه ؛ لعرف الإمام الجواد (عليه السلام) عند أبي الصلت الهروي وغيره من المقربين لدى الإمام الرضا(عليه السلام)، ولما حصل منهم السؤال عن شخصه – كما في رواية أبي

٧٧ – الصدوق ، الشيخ محمد بن علي : عيون أخبار الرضا ،ج١ / ٢٧٢-٢٧٣ .

الصلت المتقدمة –، وأيضاً لو دار الأمر بين رواية البيهقي المتقدمة ورواية أبي الصت ؛ لرجحنا رواية أبي الصلت، فقد ذكرها المصادر الشيعية المعتمدة كالمجلسي في بحار الأنوار، والشيخ عباس القمي في الأنوار البهية وغيرهما ، بخلاف رواية البيهقي.

ج- نهاية القصة:

النهاية جزء هام في كيان القصة، له قيمته الحاسمة في تقدير القصة والحكم عليها، وعلى النهاية يتوقف الأثر النهائي في نفس القارئ أو السامع، الذي من خلاله تحمل ثمرته في المعنى الأخير، الذي سيظل عالقاً في ذهن المتلقي وقتاً طويلاً حين تكون نهايته جيده ، وقد حظيت بعناصر عدة تجلّت في أكثر منها القوة والحيوية ، وهي كالتالي:

١- المفاجأة:

تبرز المفاجأة في النهاية كعنصر آخر من عناصر قوتها ؛ ذلك أنّ المفاجأة بطبيعتها ذات أثر خاص في نفس الإنسان ، ثم تأتي بطريقة رائعة تدهش القارئ أو السامع ، وبخاصة أنها تبدو في صورة معقولة تنسجم مع ظروف القصة وملابساتها ، وتلائم الجوّ العام الذي تحدث فيه ، وفي القصة : «.. فأرسل بازياً على دُرّاجة ؛ فغاب البازي غيبة طويلة ، ثم عاد من الجوّ في منقاره سمكة صغيرة، وبها بقايا حياة ، فعجب الخليفة من ذاك غاية العجب!».

٢ - التفسير:

هناك ظاهرة عامة نلاحظها في كثير من نهايات القصة الإسلامية؛ وهي أنها تشتمل على تفسير معين للأحداث التي سبقت أثناء السرد القصصي في بداية القصة، أو وسطها، وخاصة حين تكون تلك الأحداث غريبة أو غامضة، وهذا التفسير يُعطي للقصة معنى جديداً، ويدعم مضمونها ويجعله أكثر ثراءاً، كما يعطي للقصة تأثيراً، وأكثر عمقاً في نفس المتلقي، نظراً لأنّ هذا التفسير يشبع فيه رغبة المعرفة من ناحية، ويلبي حاجة الكشف عن الجوانب الخفية في الحدث التي كانت تثير في نفسه تعلماً شديداً لحل رموزها. ومن هنا تنجح القصة في السيطرة على القارئ أو السامع إلى كلمة فيها. وفي القصة: «فقال: ما تعرف من العلوم؟ قال: سلني عن أخبار السماوات؟... ثم سأله المأمون: ما عندك من أخبار السماوات؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين، حدثني أبي عن آبائه، عن النبي، عن جبرئيل، عن ربّ العالمين أنّه قال: بين السماء والهواء بحر عجاج، يتلاطم به الأمواج، فيه حيات خضر البطون، ورقط الظهور، ويصيدها الملوك بالبزاة الشهب، تمتحن بها العلماء. فقال: صدقت... الخ».

٣ - تشخيص المشهد:

إنّ المشهد المشخص في القصة عنصر بارز في القصة كلها، إذ نلخصه في بداية القصة، وفي وسطها، وفي النهاية، ولكنه في النهاية أكثر بروزاً؛ وذلك أنّ النهاية تحمل صوراً ومشاهد معينة كثيرة جداً، مما يعطي للنهاية قيمتها كبرى في تحقيقها للغرض الذي تهدف إليه؛ إذ أنه طبيعة المشهد بما تحفل به من شتى الصور وحيوته الحركة تجعل الملتقى أكثر قدرة على المتابعة للحدث، وأكثر

إستيعاباً لمضمون القصة، نظراً لما يثيره المشهد من التجاوب العاطفي بالتأثر والإنفعال، وما يثيره في عقله من الإستيحاء والتصور، بخلاف ما لو عرضت بطريقة سردية تقريرية تبعدنا عن حركة الأحداث والشخصيات. وهذا ما نجده في القصة من ملاقات ومحاورة المأمون للإمام الجواد (عليه السلام).

٤ - التفاؤل:

مما يُلفت النظر في النهاية، أنها تحرص على أن تقدم للمستمع أو القارئ، أحداثاً ومشاهد تختم بنهايات سَارّة ومفرحة بالنسبة لبطل القصة، أو مجموعة من أبطالها، وهي بالتالي ذات آثار تنعكس على نفسية المتلقي، حيث تعطيه الرضا والطمأنينة والإستئناس بهذه المشاهد التي تزرع في نفسه، بطريقه غير مباشرة بدور التفاؤل والأمل. وهذا ما نجده في القصة: « قال المأمون: يا غلام، ما منعك من الهرب كما هرب الصبيان؟ فقال الجواد (عليه السلام) : يا أمير المؤمنين، لم يكن الطريق ضيق فأوسعه بذهابي، ولم تكن لي جريمة فأخشاها، وظني بك حسن أنك لا تضر من لا ذنب له. فتعجب من كلامه، واعجبه وجهه وكلامه... الخ ».

وفي رواية ابن شهر آشوب: « وقال لأصحابه: قد دنا حتف ذلك الصبي في هذا اليوم على يدي ».

فلما رجع من الصيد واختبر الإمام (عليه السلام) وأجابه... «فقال: صدقت وصدق آباؤك، وصدق جدك، وصدق ربك، فأركبه ثم زَوّجه أم

الفضل». وفي رواية ابن طلحة الشافعي: «وجعل يطيل نظره إليه وقال: أنت ابن الرضا حقاً، وضاعف إحسانه إليه».

وقفة تأمل في كلام المأمون:

قال الباحث كامل سليمان - معلقاً على كلام المأمون - : «... وإلاّ فما تفسير هذا الحبّ الذي تفجر من قلب «خليفة كبير» لصبي صغير وقف ناظراً للعب أترابه؟! .

ثم ما مضى شغفه به وهو ابنُ ضَرّة بنته «الأميرة العاقر» بنت أمير المؤمنين؟!! .

فوالذي برأ النَّسمة ما أحبّ قلبُ رجل ابن ضَرَّةِ بنته العاقر، والضَرّةُ أمُّ ولد - مملوكة - فكيف وبنته بنتُ سلطان البلاد وحاكم العباد!. اللهم إلاّ إذا كان حبُّه له تولّياً له واعترافاً بإمامته المفروضة من السماء، المنصوصة من خاتم الأنبياء، وهذا ما يبعد عنه المأمونُ بُعد الأرض عن السماء .

ربما كانت نباهةُ الصبيّ قد إجتذبت قلب المأمون... ولكن رغبته في تطويقه - قبل أن تُبعده عنه الأقدار - قد شدّته إليه.. فأحبّ فيه هذا النُّبوغ المنفتح؛ ومن الحُب ما قتل.. المحبوب! .

وما يجول في صدور بعيدي النظر - كالمأمون - أمرٌ يؤبه له .

كما أنّ قول المأمون «للإمام الفتى»: «صدقتَ وصدق أبوك وصدق جدُّك» هو تكذيبٌ سافلٌ، مبَطّنٌ بتصديق سافر ولا يحمل غير معنى التكذيب له ولأبيه وجدّه «ضمناً» إذ أنّه يخطّط للبعيد البعيد.. أي ليوم يقتل فيه «الإمام

الفتى» ويعتبر برئياً من دمه «علناً» بـراءة الـذئب مـن دم يوسـف(عليـه السلام)»[٧٨].

٥ - الإنتصار:

تُسجّل النهاية في القصة في أحيان كثيرة إنتصار الحق، وإنهزام الباطل مهما كانت الظروف، ومهما طال الزمن في عمر الباطل، وقد يكون ذلك الإنتصـار الذي تسجله النهاية معنوياً يشمل في الثبات على المبدأ، وعدم الرضوخ إلى رغبة طغيان الباطل وأهوائه، برغم ما يملكه من وسائل الإرهاب والعنف . وفي القصة ما نراه واضحاً من إنتصار الإمام الجواد (عليه السلام) - على صغر سنه - على المأمون العباسي، بما أتى به من معجزة، وقد عَبّر عن ذلك ابن طلحة الشـافعي بعد نقله للقصة بقوله: «وفي هذه الواقعة ما يكفيه من منقبـة عـن غيرهـا، ويستغني عن سواها».

أقول: وبهذه المنقبة المشهورة في كتب المسلمين، وغيرها من المناقب، تَدلّ على أحقيّته لإمامة المسلمين، وصحة ما ذهب إليه شيعته ومحبوه، مـن القـول بامامته وإمامة آبائه وأبنائه المعصومين. سلام الله عليهم أجمعين.

---

٧٨ - سليمان ، كامل : محمد الجواد (ع) الإمام المعجزة / ١٩٨-١٩٩ .

ثانياً - أنواع الحدث في القصة

١ - أحداث غير مألوفة

٢ - خوارق ومعجزات

١ - أحداث غير مألوفة:

وهي التي تحدث ناذراً، بحيث تبدو في نظر السامع، أو القارئ أحداثاً غريبة، كما في القصة : حيث أنّ طفلاً لا يتجاوز العاشرة من عمره، ويأتي موكب السلطان ويهرب الأطفال، ويحاور السلطان بكل قوة ، ثم يكرر الموقف مرة ثانية، فهذا غير مألوف لا عند السلطان ولا عند الأطفال، ولا عند القارئ أو المستمع.

٢ - خوارق ومعجزات:

هي التي يجريها الله تبارك وتعالى، بحيث تتم في صورة مخالفة لسنن الحياة الطبيعية، وإنّما تحدث بإرادة الباري عَزّوجلّ المتصرف في مخلوقاته، لقصد نصرة أوليائه وأنبيائه، وهذا ما نراه واضحاً في القصة ؛ إذ كيف البازى أتى بالسمكة الصغيرة أو الحية من الجوّ وبها بقايا حياة، ثم يأتى بها المأمون متحدياً الإمام الجواد(عليه السلام) فأجابه - وهو طفل صغير - بأمور غيبية، فسبحان الذي جعل السمكة في قبضة البازي! وسبحان من ألهم هذا الصغير بهذه الأسرار، ألا يكون هذا من الإعجاز والأمور الخارقة للعادة، لإظهار إمامة هذا الصغير، ونصرته على سلطان زمانه؟!

الباب الثالث - دراسة الحوار

أ – طبيعة الحوار

ب – وظائف الحوار

أ - طبيعة الحوار:

الملاحظ في الحوار أنّه يأتي في سياق القصة في صورة طبيعية ؛ أي أنه يبرز إلى الوجود في ساحة القصة من خلال الموقف وبدافع منه، فهو لا يُقحم على السياق، ولا يفرض عليه فرضاً.

وتظهر أهمية الحوار باعتبار أنّ القصة في الأساس عملية سردية تُتبع فيها الأحداث والمواقف بطريقة سردية رتيبة، ولكي لا تبدو هذه الرتابة بصورة مملّة، فإنّ القصة تلجأ إلى إستعمال الحوار، لإعطاء هذا السرد نوعاً من الحيوية والإثارة، حتى تستطيع القصة أن تشد المستمع إليها، وتحمله على المتابعة والإستمرار. ومن هنا نلاحظ أنّ الحوار ينتشر في معظم نصوص القصة إنتشاراً واسعاً وبصورة إيجابية ذات أثر واضح في تدعيم البنية القصصية وخدمة الجانب الفني. كما سيتضح ذلك في تفصيل الحديث عن وظائف الحوار في القصة النبوية.

ب - وظائف الحوار:

تظهر أهمية الحوار في القصة، من خلال الدور البارز له في بناء القصة، والذي يتضح جلياً من خلال الوظائف المتعددة، التي يؤديها في البناء الروائي للقصة، وهي وظائف ذات مناح مختلفة، نستطيع إيضاحها فيما يلي:

١ - التخفيف من رتابة السرد في القصة:

وهذه وظيفة حيوية، تتحق في جميع صور الحوار في كل قصة إشتملت على هذا العنصر، وهذا يبعد عن القارئ الشعور بالملل والسآمة، التي ربما نشأت

من خلال السرد المتواصل، ويجعله يتابع القصة بارتياح وشوق، ويثير في نفسه مختلف العواطف والإنفعالات .

٢ - تطوير الحدث :

أي السعي به نحو حلقات جديدة، ودفعه لبعث مواقف جديدة في خط سير القصة ، إلى أن تصل إلى النهاية المقصودة .

٣ - المساعدة في رسم الشخصية :

الحوار أسلوب هام من أساليب بناء الشخصية في القصة؛ فهو سيجعلها أكثر حضوراً وتجسيماً من خلال حضورها في الحوار ، وسيجعلها كاملة الوضوح أمام القارئ أو السامع، الذي سيحس بها من خلال حديثها وكلامها، والدور الحقيقي هنا للحوار، هو ما يحمله من ترجمة لمشاعر الشخصية وعواطفها وأحاسيسها المختلفة، التي ستبوح بها من خلال الكلمات التي تبوح بها من خلال الكلمات الواردة على لسانها.

٤ - المساعدة على تصوير مواقف مُعيّنَة في القصة :

لعل من أبرز المواقف في هذه القصة، هو موقف الإمام الجواد(عليه السلام) حينما هرب الصبيان خوفاً من المأمون وموكبه المتجه إلى الصيد حينما مَرّ بهم، ووقف الإمام (عليه السلام) غير مكترث بذلك، فأحبَّ المأمون التعرف على هذه الشخصية من خلال سؤاله: «من تكون؟ أو ما إسمك؟» حيث يكشف هذا الحوار ما ينطوي عليه موقف الإمام (عليه السلام) أثناء وقوفه أمام

المأمون وموكبه، من أنه هو صاحب الحق الشرعي دون غيره، وقد أكد على ذلك من خلال ما يلي:

١ - إنتسابه إلى أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله).

٢ - تأييد دعواه بالأمر الغيبي بقوله: (حدثني أبي، عن آبائه، عن النبي، عن جبرئيل، عن ربِّ العالمين... الخ).. هذا على رواية ابن شهر آشوب.

وأيضاً بقوله: (فيختبرون بها سلالة أهل النبوة)، هذا على رواية ابن طلحة الشافعي.

وعلى رواية ابن شهر آشوب: (يُمتحن بها العلماء).

٥ - كشف مغزى القصة:

إنّ الحوار يساعد على كشف مغزى القصة، والإبانة عن غرضها الذي ترمي إليه. ومن خلال تتبعنا لمجريات الحوار الذي دار بين المأمون العباسي والإمام الجواد (عليه السلام) يتضح لنا ما يلي:

١ - إنّ وقوف الإمام (عليه السلام) عند الأطفال وهم يلعبون على علم غيبي بمرور المأمون العباسي على هذا المكان، كي يُوضح للمأمون وموكبه، أنّه خليفة أبيه والإمام من بعده، وصغر سنه ليس بمانع عن تحمل هذا المنصب الخطير، وقد أثبت ذلك من خلال أجوبته على تساؤلات المأمون بكل ثقة.

٢ - حاول المأمون أن يفرض شخصيته، من خلال أسئلته تارة، والتهديد من خلال كلامه لحاشيته «. دنا حتف ذلك الصبي في هذا اليوم على يدي»

تارة أخرى، وتعجيز الإمام (عليه السلام) بقوله : «ما عندك من أخبار السماوات؟» إلاّ أنّه رأى أنّ زيادة المكابرة ستوصله إلى أمر لا يحمد عقباه، خصوصاً حينما رأى المعجزة واضحة لدى الجميع. لذا أظهر إعجابه بالإمام (عليه السلام) وتصديقه وتصديق آبائه وأجداده بقوله : (صدقت، وصدق آباؤك، وصدق جدك، وصدق ربك).

٦ - إعطاء القصة نوعاً من الواقعية :

إنّ الحوار يُضفي على القصة نوعاً من الواقعية الحية في نظر القارئ أو السامع، إذ يشعر بأنّه أمام أحياء يمارسون وجودهم فعلاً من خلال ما يقرأه أو يسمعه من أحاديثهم، ومحاوراتهم التي تتردد على مسامعه في ثنايا القصة، وخلال مواقفها المتعددة.

٧ - تعميق الحدث في النفوس :

إنّ الحوار سيلبي لدى القارئ أو السامع حاجته النفسية، في حب المعرفة النابعة من حبه لإستطلاع معنى الحوار وأبعاده، وما يترتب على الحوار من مواقف، وما يخلقه من أحداث.

الباب الرابع - دراسة المكان والزمان

١ – المكان

الأولى – علاقته بالحدث

الثانية – كونه وعاءً للحدث

الأول – بغداد

الثاني – الجوّ

أ- المكان:

نلاحظ أنّ المكان والزمان ليسا محل إهتمام القصة المباشر، وإنّما التركيز بالدرجة الأولى ينصب على الأحداث والشخصيات والحوار، وأما الزمان والمكان، فإننا نشعر بهما من خلال نطاق ضيق عبر إشارات مباشرة وغير مباشرة، من خلال العرض القصصي، وفي صورة محددة أحياناً، وباهتة في أحيان أخرى . والمكان يمكن أن نتحدث عنه من خلال زاويتين كالتالي:

الأولى – علاقته بالحدث : أي بمعنى أنّ الأحداث تبرز في العرض السردي، بما هو وسيلة من وسائل الحركة ، والتطور في القصة بما تترتب فيها النتائج على المقدمات.

الثانية – كونه وعاءً للحدث : أي، فهو مسرحها الذي تقع عليه، ومن هذه الزاوية نجد إشارات متناثرة تبرز في القصة ، حين يكون للمكان أهمية خاصة في تقدير الحدث نفسه ، وإضفاء الإشارة عليه، وطبعه بطابع الأهمية والخطورة، ويمكن حصرها من خلال القصة في موضعين:

الأول – بغداد:

وهذه المدينة من أهم عواصم سلطان العباسيين، وقد أشارت إليها رواية ابن طلحة الشافعي: «وقدم الخليفة المأمون إلى بغداد...». وعلى رواية ابن نما الحلي: «فلما شخص من خراسان وقدم بغداد...». وبعد عرض هذين النصين؛ ينبغي الإشارة إلى ما يلي:

س / ما سبب مجيء المأمون إلى بغداد تاركاً عاصمته خراسان؟

ج / يتضح الجواب من خلال عرض ما يلي:

قال السيد الميلاني (قدس سره): «للإمام الجواد (عليه السلام) هجرتان: الأولى – بعد ما إستشهد الإمام الرضا (عليه السلام) بسمّ المأمون في طوس، ودفن في قبّة هارون الرّشيد، ذهب المأمون إلى بغداد ودخلها سنة ٢٠٤ ، وكان النّاس يلومونه ويقولون: إحتال المأمون بطلبه الرّضا (عليه السلام) إلى مرو وهو الذي دَسّ في سَمّه وقتله مظلوماً.

إستشار المأمون حاشيته لتمويه ما قالوه، فأشاروا عليه بطلب ابن الرّضا محمّد بن علي من المدينة إلى بغداد ، فكتب المأمون إليه وأشخصه إلى بغداد»[٧٩].

أقول : هاجر الإمام الجواد (عليه السلام) إلى بغداد ثلاث مرات:

الأولى – عام ٢٠٤هـ وإلتقى بالمأمون في قضية البازي الأشهب، ثم عقد على بنت المأمون أم الفضل.

والثانية – ذكرها الطبري في تاريخه في حوادث سنة ٢١٥، حيث قال: «فلما صار المأمون إلى تكريت قَدِم عليه محمّد بن علي بن موسى بن جعفر، بن محمّد ، بن علي بن الحسين، بن علي بن أبي طالب (رحمه الله) من المدينة، في صفر ليلة الجمعة من هذه السنة ولقيه بها فأجازه وأمره أن يدخل بابنته أم الفضل، وكان زَوّجها منه، فأدخلت عليه في دار أحمد

٧٩ – الميلاني ، السيد محمد هادي : قادتنا كيف نعرفهم ؟ ج٧ / ٢٩ .

بن يوسف التي على شاطئ دجلة فأقام بها، فلما كان أيام الحج؛ خرج بأهله وعياله حتى أتى مكة ثم أتى منزله بالمدينة فأقام بها»[٨٠].

ونص على ذلك ابن الجوزي في (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - ج١٠/ ٢٦٥، ط دار الكتب العلمية، بيروت).

والثالثة - لما بويع المعتصم بعد أخيه المأمون بالبديدون وانصرف إلى بغداد، كان لا يزال يَتتبّع أحوال الإمام الجواد(عليه السلام)، حتى كتب إلى محمّد بن عبدالملك الزيّات أن ينفذه إليه مع زوجته أم الفضل بنت المأمون، أرسل ابن الزيّات علي بن يقطين إليه، فتجهّز من المدينة إلى بغداد ووردها ليلة الثامن والعشرين من المحرم، سنة عشرين ومائتين، وأقام بها عشرة أشهر، وسَمّه المعتصم في آخر ذي القعدة سنة عشرين ومائتين، وفي هذه المدّة قاسى من المعتصم ما قاسى.

روايات غريبة يجب التأمل فيها:

من الروايات الغريبة التي ينبغي التأمل فيها ما يلي:

الأولى- قال العلامة القاضي الرشيد، ابوالحسن أحمد بن القاضي الرشيد، ابن الزبير من أعيان القرن الخامس في (الذخاير والتحف - ص ١٠١، ط. الكويت). قال: قال الريان بن ابن خال المعتصم: لما أراد عبدالله المأمون بالله أن يُزوِّج ابنته أم الفضل، بأبي جعفر محمّد بن علي الرضا، اجتمع إليه أهل بيته وعليه الناس (أي أشرافهم)، فعقد بينهما النكاح، وأولم

٨٠ - الطبري ، محمد بن جرير : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ / ٦٢٣ .

عليها المأمون وليمة عظيمة ، وذلك سنة إثنتين ومائتين، وجلس على مراتبهم الخاص والعام.

قال الريان: فإني كذلك إذ سمعت كلاماً كأنّه من كلام الملاحين في مجاوباتهم، فإذا بالخدم يجرون سفينة من فضة ففيها قلوس من ابريسم مملوئة غالية، فخضبوا لحى أهل الخاصة بها، ثم مدوا الزورق إلى أهل العامة فطيبوهم»[٨١].

أقول: هذا الرواية مخالفة للمشهور من أنّ عقد الزواج وقع في سنة ٢٠٤هـ ، ولعلّه إشتباه من الراوي.

الثانية – قال الزركلي: «ولد بالمدينة وانتقل مع أبيه إلى بغداد، وتوفي والده فكفله المأمون العباسي ورباه، وزوجه ابنته أم الفضل، وقدم المدينة ثم عاد إلى بغداد وتوفي فيها»[٨٢].

أقول : قول الزركلي فيه من الغرابة والخلط، ولا ندري من أين أتى بهذا القول الغريب المخالف للمشهور بين المحققين؛ حيث أنّ الإمام الجواد(عليه السلام) لم يذهب مع أبيه إلى بغداد، ولم يكفله المأمون بعد موت أبيه، بل أول لقاء حصل له مع المأمون في عام ٢٠٤هـ في قضية البازي الأشهب كما ذكرناه سابقاً.

---

٨١ – المرعشي ، السيد شهاب الدين : ملحقات الإحقاق ، ج١٢ / ٤٢٢ .

٨٢ – الزركلي ، خير الدين : الأعلام ، ج٧ / ١٥٥ .

س / المأمون أشخص الإمام الجواد(عليه السلام) من المدينة، فلابد أن يكون مع أيد أمينة لا تتركه، فلماذا جاء في هذا الوقت بمفرده ليكون مع الأطفال؟

صحيح أنّ المأمون أشخص الإمام الجواد (عليه السلام) من المدينة إلى بغداد، فلابد أن يكون مع أيد من ثقاته ؛ وذلك لأهمية هذا الطفل الذي أصبحت له أهميته بعد موت أبيه الرضا (عليه السلام)، خصوصاً من وفود علماء الشيعة إلى بيته، فكل ذلك بمسمع من المأمون، وكل ذلك بحسب التقارير التي ترفع إليه من قبل عيونه في المدينة. والنصوص التي وصلتنا لم تحدد الأشخاص الذين كانوا معه، ولكن مع هذا لا ينبغي الإستغراب من ترك المأمون للإمام (عليه السلام) في هذه الفترة بمفرده؛ إذ يرى المحقق البحاثة الشيخ علي الأحمدي: « أنّه قد يكون التأخير في اللقاء يهدف إلى ضبط تحركاته ، ولقاءاته مع الناس، ومن أجل أنّ التأخير في اللقاء والتسويف فيه، فيه إستخفاف وإهانة، وذلك هو أحد أهدافهم في كثير من مواقفهم من الأئمة (عليهم السلام) كما فعله المتوكل مع الإمام الهادي (عليه السلام) حينما أشخصه إلى سامراء ، حيث أنزله في دار الصعاليك.. ويكون نتيجة كلا الأمرين أيضاً شعور الإنسان في قرارة نفسه بالضعة والمهانة ، الأمر الذي يضعفه في أهدافه وأغراضه »[٨٣].

الثاني - الجَوّ:

أشارت نصوص القصة إلى (الجوّ أو السماوات) كالتالي:

«فقال: ما تعرف من العلوم؟!

---

٨٣ - العاملي ، السيد جعفر مرتضى : الحياة السياسية للإمام الجواد (ع) /٧٢ .

قال: سلني عن أخبار السماوات.. فودعه ومضى وعلى يده باز أشهب، يطلب به الصيد.. فلما بعد عنه ؛ نهض عن يده الباز ، فنظر يمينه وشماله لم يـر صيداً، والباز يثب عن يده، فأرسله، فطار يطلب الأفق ، عن غاب عن نـاظره ساعة ، ثم عاد إليه ، وقد صاد حَيّة ، فوضع الحيّة في بيت الطعم .. ثم عـاد، وابن الرضا في جملة الصبيان. فقال: ما عند من أخبار السماوات؟!.

فقال : نعم يا أمير المؤمنين، حدثني أبي عن آبائه ، عن النبي ، عن جبرئيل، عن ربّ العالمين ، أنه قال : بين السماء والهواء بحر عجاج ، يتلاطم به الأمواج، فيه حيات خضر البطون ، رقط الظهور ، يصيدها الملوك بـالبزاة الشـهب ، يمتحن به العلماء .

وفي نَصّ آخر: «قال: يا محمّد، ما في يدي؟ فألهمه الله تعالى أن قال: يـا أمير المؤمنين، إنّ الله تعالى خلق بمشيئته في بحر قدرته سمكاً صغاراً يرتفع مع الماء في الغيم فتصيدها بزاة الملوك ، فيختبرون بها سلالة النبوة...». وبعد ذكر هذين النصين ؛ لدينا بعض التساؤلات، كالتالي:

الأول - هل يمكن للبازي أن يصل إلى مثل هذا المستوى من العلو والإرتفاع؟

بعد دراسه شخصية البازي - كما سبق - ، أنه لا مانع من ذلك، فقـد ذكرنا أنه يقبل الآداب؛ أي أن يطيع الإنسان ويفهمه بعـد التـدريب تحـت إشارات وأصوات معينه، فيعرف ما يراد منه .

كما أنّ هناك الصقر الحرّ الجوّال؛ إحدى عجائب الطبيعة الطائرة، فبامكانه أن ينقض للإفتراس بسرعة ٣٢٠ كم في الساعة تقريباً، والبازي نوع من الصقور، فلا مانع أن يرتفع إلى مثل هذا المستوى.

الثاني - هل يمكن للسمك أو الحيات أن ترتفع إلى مثل هذا المستوى من الإرتفاع والعلو، بحيث أن تعيش فيه؟

يمكن الجواب على ذلك من ناحيتين كالتالي:

الأولى - حسب الطبيعة:

قد أشار إلى هذا الإمام الجواد (عليه السلام) بقوله المروي: «... إنّ الله تعالى خلق بمشيئته في بحر قدرته سمكاً صغاراً يرتفع مع الماء في الغيم فتصيدها بزاة الملوك...».

وقال الشيخ البهائي (قدس سره) في شرحه لبعض عبارات دعاء الساعة التاسعة؛ وهي للجواد (عليه السلام) : (الذي سُئل فوفقته لرد الجواب). فيه إشارة إلى ما نقله الخاصة والعامة من أنّ المأمون ركب يوماً للصيد فمرّ ببعض أزقّة بغداد على جماعة من الأطفال - إلى أن قال - وقال له: قل أي شيء في يدي ؟ فقال (عليه السلام) : إنّ الغيم حين يأخذ من ماء البحر يُداخله سمك صغار ، فتسقط منه فتصطادها صقور الملك فيمتحنون بها سلالة النبوة»[٨٤].

وذكر العلامة السيد محمّد كاظم القزويني (رحمه الله): «ليس في كلام الإمام الجواد (عليه السلام) ما يدعو إلى الإستغراب، وقد رأينا في زماننا في

---

٨٤ - البهائي ، الشيخ محمد بن حسين : مفتاح الفلاح / ٢١٦ - ٢٢٠ .

العراق - مرات عديدة - ، أنّ السماء أمطرت مئات الألوف - بل الملايين - من الضفادع ، وكانت كل ضفدعة على حجم البندقة أو اكبر منها.

وفي هذه السنة بالذات - ١٤٠٦هـ - ، أمطرت السماء في مدينة شادكان - في محافظة خوزستان، جنوب إيران - ملايين الضفادع، وإمتلأت بها البيوت والبساتين وغيرها. وعلى كل حال .. فهذا أمر واقع وحقيقة ثابتة، وليست نظرية حتى يمكن تكذيبها أو التشكيك فيها.

ويمكن أن يقال - في مقام التحليل - : أنّ الزوابع - جمع زوبعة، وهي هيجان الرياح في الأرض وتصاعدها بصورة مستديره - تسير بصورة سريعة وتحمل الغبار، وترتفع إلى السماء كالعمود. فإذا هَبّت الزوابع على الشطوط والبحار، فإنها تمل السحب والحيوانات المتواجدة على الماء - من السمك والضفادع - وتصعد بها إلى الجوّ، فتبقى بين طيّات السُحب المتكاثفة ، ويمكن أن يعيش السمك بين أطباق الغيوم ، لأنّها أبخرة الماء»[٨٥].

الثانية - حسب الإعجاز:

قد أوضح الإمام الجواد (عليه السلام) هذا الإعجاز بقوله المروي : «بين السماء والهواء بحر عجاج، يتلاطم به الأمواج فيه حيات خضر البطون ، رقط الظهور ، يصيدها الملوك بالبزاة الشهب ، يُمتحن به العلماء».

إنّ هذه المخلوقات من الحيات، الموجودة في هذا البحر، تختلف عن المخلوقات الطبيعية المألوفة لدينا، وإهتداء بزاة الملوك إليها، خارج عن المسار

---

٨٥ - القزويني ، السيد محمد كاظم : الإمام الجواد (ع) من المهد إلى الحد / ٦٠-٦١ .

الطبيعي لها، ولهذا النوع من الإعجاز أمثلة في التاريخ الإسلامي نذكر منها ما يلي:

قصة سميكات قبر الإمام الرضا (عليه السلام):

حَدّث أبو عبدالله، محمّد بن سعيد النيسابوري متوجهاً إلى الحج عن أبي الصلت الهروي - وكان خادماً — للرضا (عليه السلام) - قال: أصبح الرضا (عليه السلام) يوماً فقال لي: أدخل هذه القبة التي فيها هارون فجئني بقبضة تراب من عند بابها ، وقبضة من يسرتها، وقبضة من صدرها ، وليكن كلٌّ تراب منها على حدته فصرت إليها فأتيته بذلك وجعلته بين يديه على منديل، فضرب بيده إلى تربة الباب فقال : هذا من عند الباب ؟ فقلت : نعم . قال : غداً تحفر لي في هذا الموضع، فتخرج صخرة لا حيلة فيها ، ثمّ قذف به، وأخذ تراب اليمنة وقال : هذا من يمنتها ؟ قلت : نعم . قال : ثم تحفر لي في هذا الموضع فتخرج نبكة[٨٦] لا حيلة فيها ، ثم قذف به وأخذ تراب اليسرة، وقال: ثم تحفر لي في هذا الموضع، فتخرج نبكة مثل الأولى وقذف به.

وأخذ تراب الصدر فقال : هذا تراب من الصدر ، ثم تحفر لي في هذا الموضع، فيستمر الحفر إلى أن يتمّ ، فإذا فرغت من الحفر ؛ فضع يدك على أسفل القبر، وتكلّم بهذه الكلمات فإنّه سينبع الماء حتى يمتلي القبر فتظهر فيه سميكات صغار، فإذا رأيتها ففتّ لها كسرة، فإذا أكلتها خرجت حوتة كسبيرة فإبتلعت تلك السميكات كلها ثم تغيب، فإذا غابت ضع يدك على الماء، وأعد تلك الكلمات، فإنّ الماء ينضب كلّه ، وسل المأمون عني أن يحضر وقت الحفر،

---

٨٦ - النبكة : محركة بالفتح ، أكمة محددة الرأس .

فإنّه سيفعل ليشاهد هذا كله. (والحديث طويل إلى أن قال) : فاحفروا لـه في القبة . قلت : فإنّه سألك أن تحضر موضع دفنه قال : نعم، فأحضروا كرسياً وجلس عليه ، وأمر أن يحفروا له عند الباب ؛ فخرجت الصخرة فأمر بالحفر في يمنة القبة، فخرجت النبكة ثم أمر بذلك في يسرتها، فبرزت النبكة الأخرى ، وأمر بالحفر في الصّدر فاستمرّ الحفر.

فلما فرغت منه؛ وضعت يدي إلى أسفل القبر وتكلمت بالكلمات؛ فنبع الماء وظهرت السميكات ففتت لها كسرة فأكلت، ثم ظهرت السمكة الكبيرة فابتلعتها كلها، وغابت فوضعت يدي على الماء وأعدت الكلمات فنصب الماء كله، وانتزعت الكلمات من صدري من ساعتي فلم أذكر منها حرفاً واحداً. فقال المأمون : يا أبا الصلت ، الرضا (عليه السلام) أمرك بهذا؟ قلت : نعم . ثم قال: ما زال الرضا (عليه السلام) يرينا العجائب في حياته، ثم أراناها بعد وفاته. فقال لوزيره : ما هذا ؟ قال : ألهمت أنّه ضرب لكم مثلاً بأنّكم تَمتّعون في الدنيا قليلاً مثل هذه السميكات ، ثم يخرج واحد منهم فيهلككم)[٨٧].

آراء حول ظهور السميكات وغيابها :

المحدث الشيخ عباس القمي :

قال (قدس سره): «الذي أفيض عليَّ ببركة مولانا أبي الحسن الرضا (عليه السلام) في ظهور السمك والماء في قبره الشريف، لعل هو نبيه المأمون

---

٨٧ – المجلسي ، الشيخ محمد باقر : بحار الأنوار ، ج٥٠ /٤٩-٥١ .

بانتقام الله تعالى منه ، بزوال ملكه وحلول الغضب عليه ، وهلاكه بالسمك والماء، لإغتياله الرضا (عليه السلام)»[٨٨].

وأما قضية هلاك المأمون بالسمك والماء ؛ فقد ذكرناها في الحديث عن شخصية المأمون.

قصة البازي الأبيض:

ذكر السيد هاشم البحراني في (مدينة المعاجز): «صاحب ثاقب المناقب قال: وجدت في بعض كتب أصحابنا (رض)، أنّه كان للرشيد باز أبيض يحبه حباً شديداً، وطار في بعض متصيداته حتى غاب عن أعينهم، فأمر الرشيد بأن يضرب له قبة وينزل تحتها، وحلف أن لا يبرح من موضعه حتى يجيئوا إليه بالباز، وأقام بالموضع وأنفذ وجوه العسكر، وخرج الأمراء في طلبه على مسيرة يوم واثنين وثلاثة، فلما كان من اليوم الثاني آخر النهار؛ نزل الباز عليه وفي يده حيوان متحرك ويلمع كما يلمع السيف في الشمس ، فأخذه من يده بالرفق ورجع داره وطرحه في طشت ذهب ، ودعا الأشراف والأطباء والحكماء والفقهاء والقضاة والحكام فقال : هل فيكم من رأى مثل هذه الصورة قط؟

فقالوا : ما رأينا مثلها قط، ولا ندري ما هي!.

قال : كيف لنا بعلمه ؟ قال له ابن أكتم القاضي ، وأبو يوسف القاضي: مالك غير إمام الروافض موسى بن جعفر (عليه السلام) ، تبعث إليه وتحضر جماعة من الروافض وتسأله عنها، فإن علم كان معرفتها لنا فائدة، وإن لم يعلم

---

٨٨ - القمي ، الشيخ عباس : الأنوار البهية / ١٩٩ .

إفتضح عند أصحابه الذين عندهم أنه يعلم الغيب ، وينظر في السماء إلى الملائكة . فقال : هذا وتربة المهدي نِعمَ الرأي، وبعث إلى أبي الحسن (عليه السلام) وسأله أن يحضر المجلس الساعة ومن عنده من الروافض ، فحضر أبوالحسن (عليه السلام) وجماعة من الشيعة معه، وقال: يا أباالحسن، أنا أحضرتك شوقاً إليك. فقال: دعني من شوقك، ألا أن الله تعالى خلق بين السماء والأرض بحراً مكفوفاً، عذباً زلالاً كف بعضه على بعض من جوانبه؛ لأن لا يطفو على خزنته فيترل منه مكيال فيهلك ما تحته، وطوله أربعة فراسخ من فراسخ الملائكة، الذين قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ الصافات: ١٦٥ -١٦٦.

وخلق له سكاناً أشخاصاً على عمل السمك صغاراً وكباراً فيه فأكبر ما فيه ، من هذه الصورة شبر وكسر، وراس مثل رأس الآدمي، وله أنف وأذنان، والذكر له سواد في وجهه مثل اللحى ، والإناث لها شعور على رأسها كما للنساء لها أجساد السمك، وفلوس مثل فلوس السمك، وبطون مثل بطوهّا ومواضع الأجنحة مثل اكف وأرجل مثل أيدي النّاس ، وأرجلهم لمع لمعاناً عظيماً؛ لأنّها متبرجة بالأنوار يتغشى الناظر حتى يزدجر، إتخذوها للتقديس والتهليل والتكبير، فإذا قصر أحدها في التسبيح سَلّط الله عليها البزاة البيض، فأكلتها وجُعلت رزقها، وما يحل لك أن تأخذ من هذا البازي رزقه الذي بعثه الله إليك ليأكله . فقال الرشيد: أخرجوا الطشت فأخرجه فنظر إليها فما أخطأ مما قال أبوالحسن موسى (عليه السلام) شيئاً ، ثم إنصرف فطرحها الرشيد

للبازي فقطّعها وأكلها، فما نقط لهادم، ولا سقط منها شيء. فقال الرشيد لجماعة الهاشميين: إنّا لو حدثنا بهذا لكنا نصدق»[٨٩].

وقفة تأمل في قصة (البازي الأشهب) :

لعل البعض حينما يقرأ قصة (البازي الأبيض) وغيرها من القصص الموجودة في الروايات ، يقول إنها ضرب من الخيال والخرافة ، فهل هذا الحكم منطقي ومعقول ، أو جزاف من القول ؟

والجواب على هذا السؤال : إنّ هذا الحكم غير منطقي ؛ لأن الأفق الضيق الذي يعيشه فكر الإنسان بعيداً عن البحث ، هو الذي دعاه إلى الحكم على الأشياء بسرعة وبدون تأمل ، وإلا لو تفكر الإنسان وتأمّل؛ لوصل إلى حقائق وأسرار في هذا الكون ، وعلى سبيل المثال : ما ذكره الكاتب فهد عامر الأحمدي في هذا المجال ، حيث قال : « وبالإضافة لهذا الحوادث الغريبة تؤمن معظم الشعوب والأمم بوجود طيور سماوية تعيش في طبقات الجو العليا – وهي طيور خفيفة الوزن كبيرة الحجم تسبح في الهواء كما تسبح الأسماك في الماء – ، بل يتوسع البعض في هذا الموضوع ويدعي أنّ غلافنا الجوي أشبه بمحيط ضخم تسبح فيه مخلوقات متنوعة شفافة أوهلامية الشكل ، علماً أنه ثبت فعلاً وجود مخلوقات صغيرة كثيرة تسبح في الهواء ، مثل الجراثيم وأبواغ الحشرات وحبوب اللقاح وبذور النباتات .

---

٨٩ – البحراني ، السيد هاشم : مدينة المعاجز ، ج٤ / ١٦٤-١٦٥ .

وكان الباحث الأمريكي تشارلز فورت – الذي أسس مجلة باسمه مازالت تنشر حتى اليوم – قد افترض في الخمسينيات وجود مخلوقات هلامية تسبح في طبقات الهواء العليا .. غير أنّ فرضيته ظلت مهملة حتى أواسط التسعينيات ، حين ابتكر علماء الكيمياء ماد هلامية شفافة تدعى إيروجل aero – gel أخف وزناً من الهواء – بحيث لو تركتها من يدك تظل طافية ولا تسقط على الأرض أبداً – ومجرد إكتشاف مادة بهذه المواصفات يجعل من المقبول إفتراض وجود مخلوقات حية تتمتع بكتلة خفيفة مشابهة ، قد لا نتنبه لوجودها بسبب طبيعتها الشفافة !!.

بقي أن أشير إلى آية في القرآن تستحق الوقوف عندها ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ ﴾[٩٠].. فأي طير هذه التي يمكنها إصطياد البشر – لو خروا من السماء – حتى قبل أن يصلوا إلى الأرض !؟ »[٩١] .

---

٩٠ – سورة الحج / ٣١ .

٩١ – جريدة الرياض – عدد / ١٣٦٢٩ ، الإثنين ١٤ / ٩ / ١٤٢٦ هـ – أكتوبر ٧/ ٢٠٠٥ م .

ب- الـــزمـــان

أولا – علاقته بالحدث

ثانياً – وعاء للحدث

١ – بعد وفاة أبيه بسنة

٢ – عمره تسع سنوات

٣ – غاب ساعة في الجو

توطئة:

يتم التركيز بالدرجة الأولى على الأحداث، أما الزمان والمكان فيمكن أن نشعر بهما من خلال نطاق ضيق عبر إشارات مباشرة وغير مباشرة، من خلال العرض القصصي، وفي صورة محدودة أحياناً، وباهتة في أحيان أخرى، والزمان في القصة يمكن التحدث عنه من ناحيتين كالتالي:

أولا - علاقته بالحدث:

نلاحظ أنّ الحدث في القصة يتحقق عبر إنتظام في الإطار الزمني، هذا الإطار الذي يعتبر وسيلة من وسائل الحركة والتطور في القصة؛ أي أنّ الأحداث تبرز في العرض السردي في صورة زمنية منطقية تترتب فيها النتاج على المقدمات، وتنتقل الشخصيات من حال إلى حال، عبر تسلسل زمني له أثره في السير بالأحداث إلى النهاية، في خطى منتظمه . إذن، إتضح لنا أن علاقة الحدث بالزمن علاقة عابرة ذات إرتباط عام طبيعي، أما الإرتباط الخاص، فباعتباره وعاء للحدث.

ثانياً - كونه وعاءً للحدث:

ومعنى كون الزمان وعاء للحدث؛ أي تحديد الفترة الزمنية التي وقع فيها الحدث، ومن هذه الناحية نجد إشارات متناثرة تبرز في القصة ، حين يكون لهذا الزمن أهمية خاصة في تقدير الحدث نفسه، وطبعه بطابع الأهمية كما في لتالي:

١ - بعد وفاة أبيه بسنة :

تعتبر هذه الفترة الحساسة بعد وفاة الإمام الرضا (عليه السلام) ، من الفترات الحرجة بالنسبة إلى سلطة المأمون، حيث يحاول المأمون مَرّة أخرى القضاء على إمامة أهل البيت (عليهم السلام)، وإستهداف شيعتهم ومحبيهم، ومن الشواهد على ذلك ما ورد في حديث محمد بن الريان قال: (إحتال المأمون على أبي جعفر (عليه السلام) بكلّ حيلة ، فلم يمكنه فيه شيء ، فلما (اعتلّ و) أراد أن يبني عليه ابنته ؛ دفع إليّ مائة وصيفه من أجمل ما يكنّ ، إلى كلّ واحدة منهنّ جاماً فيه جوهر ، يستقبلون أبا جعفر (عليه السلام)، إذا قصد في موضع الإختان فلم يلتفت إليهنّ. وكان رجل يقال له مخارق صاحب صوت وعود وضرب، طويل اللحية فدعاه المأمون فقال: يا أمير المؤمنين، إن كان في شيء من أمر الدنيا فأنا أكفيك أمره، فقعد بين يدي أبي جعفر (عليه السلام) فشهق مخارق شهقة إجتمع إليه أهل الدّار ، وجعل يضرب بعوده ويُغني ، فلما فعل ساعة وإذا أبوجعفر (عليه السلام) لا يلتفت إليه لا يميناً ولا شمالا ، ثم رفع رأسه إليه وقال : إتق الله ياذا العثنون ! قال : فسقط المضراب من يده والعود ، فلم ينتفع بيده إلى أن مات .

قال : فسأله المأمون عن حاله قال لما صاح بي أبوجعفر ؛ فزعت فزعة لا أفيق منها أبدا)[٩٢].

---

٩٢ - المجلسي ، الشيخ محمد باقر : بحار الأنوار ، ج٥٠ / ٦١-٦٢.

كما أنّ المأمون قد اطلع على تحركات الشيعة بعد وفاة الإمام الرضا (عليه السلام)، وإتصالهم بالإمام الجواد (عليه السلام) ، وما حدث منه من الكرامات الباهرات، واجابته على المسائل الصعبة رغم صغر سنه. ووجود هذا الإمام بهذا السن يعتبر بحد ذاته تحدياً للمأمون والعباسيين، لذا إحتاط المأمون للأمر، ولأجل ذلك إستقدم الإمام الجواد (عليه السلام) من المدينة إلى بغداد، بهدف التعرف عليه عن قرب، وقطع علاقته بشيعته ومحبيه.

وحاول إجباره على البقاء في بغداد ، كما في حديث الحسين المكاري قال: (دخلت على أبي جعفر ببغداد، وهو على ما كان من أمره، فقلت في نفسي: هذا الرجل لا يرجع إلى موطنه أبداً، وما أعرف مطعمه ؟ [٩٣] قال: فأطرق رأسه ثم رفعه وقد إصفرّ لونه فقال: يا حسين، خبز شعير، وملح جريش في حرم رسول الله أحبُّ إليّ مما تراني فيها)[٩٤].

وخلاصة القول: إنّ المأمون يهدف من كل ذلك إلى تقوية سطانه بالقضاء على عنوان الإمامة ؛ لأنّها تزعجه وتقطع عليه طريقه، إلاّ أنّ أهدافه إنكشفت وفشلت، خصوصاً بعد هذا اللقاء في حادثة الصيد.

٢- عمره تسع سنوات:

قال العلامة السيد محمد كاظم القزويني (رحمه الله): «ووصل الإمام الجواد (عليه السلام) إلى بغداد، وهو في العاشرة أو الحادية عشرة من العمر، ولكن قد

---

٩٣ - وفي بعض النسخ : (وأنا أعرف مطعمه) ؛ أي أنه لا يرجع إلى وطنه والحال أن مطعمة بالطيب والدعه والسفة، التي أعرفها وأراها .

٩٤ - المجلسي ، الشيخ محمد باقر : بحار الأنوار ، ج٥٠/ ٤٨ .

تكاملت فيه صفات العظمة، وشروط الإمامة، وتَوفّرت فيه المؤهّلات بجميع معنى الكلمة»[٩٥].

أقول : يمكن مناقشة هذا النّص من جهتين:

الأولى- ما ذكره من أنّ عمره في العاشرة، أو الحادية عشرة، هذا بناء على رواية ابن شهر آشوب، الناصّة على أن عمره في الحادية عشرة، وأما المشهور بين المؤرخين؛ فعمره تسع سنوات، وهو الرأي الذي يمكن الإعتماد عليه؛ وذلك لأن المشهور في تاريخ ولادته عام ١٩٥هـ . وأيضاً فإنّ قصة البازي الأشهب حدثت بعد عام من وفاة الرضا (عليه السلام) ؛ أي في عام ٢٠٤هـ ، فيكون عمره تسع سنوات.

الثانية – قوله: «ولكن قد تكاملت فيه صفات العظمة... الخ». هذا العبارة تحتاج إلى وقفة وتأمل ؛ حيث إنّ منصب الإمامة لا يخضع إلى سن معين، بل ولو كان ابن يوم وأراد الله تعالى نصبه للإمامة، فلا مانع من ذلك ، وإنما هي أدوار يقوم بها الأئمة (ع) مترتبة حسب التسلسل الزمني لكل منهم ، مع القول بعظمتهم وكمالهم قبل إستلام هذا المنصب ، وقد إلتبس على بعضهم ذلك حينما صرّح في هذا المقام بقوله: «مات أبوه ، فخلفه في الإمامة وهو ابن سبع سنين ، فأنكر جمهور المسلمين على الشيعة ولاية الأئمة، والأخذ عنهم، وهم في سنّ الصبا؛ ولا سيما أن العادات العربية تجعل للسن أهمية في ولاية الأمور،

---

٩٥ – القزويني ، السيد محمد كاظم : الإمام الجواد (ع) من المهد إلى الحد / ٥٨.

فكانت إمامته – و لم يبلغ سن الرشد – أخطر مشكلة واجهت الشيعة، بالنسبة لشخص الجواد..»[٩٦].

وقد أجاب عن هذا الإشكال الإمام الرضا (عليه السلام)، في حديث الخيراني ، عن أبيه قال : (كنت واقفاً عند أبي الحسن الرضا (عليه السلام) بخراسان ، فقال قائل : يا سيدي، إن كان كونٌ فإلى من ؟

قال : إلى أبي جعفر ابني . وكأنّ القائل إستصغر سنّ أبي جعفر، فقال أبو الحسن (عليه السلام) : إنّ الله سبحانه بعث عيسى رسولا نبياً صاحب شريعة مبتدأة في أصغر من السنّ الذي فيه أبو جعفر(عليه السلام)[٩٧].

أقول : لعلّ القائل الذي إستصغر سن الإمام الجواد (عليه السلام) ، توهم أنّ صغر السنّ ينافي منصب الإمامة وقيادة الأمة، فذكرّه الإمام الرضا (عليه السلام) بنبوة عيسى (عليه السلام) في شريعة مبتدأة، كما أوضح ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾ مريم: ٢٩ – ٣١ .

فإذا أمكن وجاز أن يكون الصبي في المهد صاحب شريعة مبتدأة ، فكيف لا يمكن ولا يجوز أن يكون الإمام الجواد (عليه السلام) إماماً تابعاً لشريعة جده

---

٩٦ – صبحي ، أحمد محمود : نظرية الإمامة / ٣٩٠ .

٩٧ – العاملي ، السيد جعفر مرتضى : بحار الأنوار ، ج٥٠ / ٢٣–٢٤ ..

المصطفى (صلى الله عليه وآله) في أكبر من سنه؛ أي يقوم بأعباء هذا المنصب وله ثمان سنوات؟!.

٣ - غاب ساعةً في الجوّ:

لعلّ القارئ أو السامع للقصة يتساءل عن إختلاف الرواة في مدة غيبة البازي الأشهب، حيث اختلفوا كالتالي :

أ - على رواية ابن نما في (مثير الأحزان) ، وابن طلحة الشافعي في (مطالب السئول)، هكذا: «فغاب غيبة طويلة».

ب - على رواية ابن شهر آشوب في (مناقب آل أبي طالب)، والسويدي في (سبائك الذهب) ، هكذا : «فغاب عنه ساعة، أو فغاب الباز ساعة في الجوّ».

ج - على رواية ابن حجر في (الصواعق المحرقة)، والشبلنجي في (نور الأبصار)، هكذا: «فغاب عنه ثم عاد».

د - على رواية ابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة)، والشبراوي الشافعي في (الإتحاف بحب الإشراف) هكذا: «فغاب البازي عنه قليلاً . أو فغاب البازي قليلاً ثم عاد». هذا ما ذكرته المصادر التي روت القصة؟

أقول: إنّ الإختلاف الوارد في تحديد وقت غياب البازي في الجوّ، يرجع إلى عدم الدقة في التوقيت في تلك الأزمنة، والإختلاف في إستخدام المصطلح الزمني في التوقيت (الساعة) بين تلك الأزمنة وزماننا هذا، وهذا يتطلب منا دراسة هذا المصطلح كالتالي:

١- الساعة عند العرب:

إختلفت الروايات في تسمية ساعات الليل والنهار كالتالي:

- الحسن بن عبدالله، بن سعيد العسكري قال : أخبرني عمي قال: أخبرنا أبوإسحاق قال: أملى علينا ثعلب ساعات الليل: الغَسَق، والفَحمَة، والعُشوَة، والهَدأة، والجِنح، والهَزيع، والفقد، والعقر، والزُّلفة، والسُّحرة، والبُهرة. وساعات النّهار: الرّادُّ، والشُّروق، والمتوع، والترحّل، والدُّلوك، والجنوح، والهَجير، والظهيرة، والأصيل، والطَفَل)[٩٨].

وأوضح الشيخ الصدوق(قدس سره) معانيها فيما يلي:

الغَسَق: ظلمة أوّل الليل. الفَحمَة: أوله، أو أشد سواده، أو ما بين غروب الشمس إلى نوم النّاس خاصّ بالصيف. والعُشوَة أو العَشوة: الظلمة كالعشاء؛ ما بين أوّل الليل إلى ربعه ، والعشاء أول الظلام ، أو من المغرب إلى العتمة . الهدأة: الهدأ ؛ أول الليل إلى ثلثه. الجِنح: الجانب، ومن الليل الطائفة. الهَزى : ثلثه أو ربعه . الفقد : لم أجد لها معنى مناسباً . العقر (العفر): اليعفور جزء من أجزاء الليل . الزُّلفة : قال الجوهري : الزلفة الطائفة من أول الليل . أو ساعات الليل الآخذة من النّهار . السُحرة : قال الراغب في المفردات : السحر والسُحرة ؛ اختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار . أو قبيل الصبح. البُهرة : في القاموس: إبهار الليل؛ إنتصف أو تراكمت ظلمته .. ، أو بقي نحو ثلثه.

---

٩٨ - الصدوق ، الشيخ محمد بن علي : الخصال ،ج٢ / ٤٨٨ (أبواب الإثني عشر) .

الراد : رائد الضحى ورأده إرتفاعه . الشروق : شـــرقت الشـــمس؛ أي طلعت. المتوع: متع النهار؛ أي إرتفع قبل الزوال. الترحل الترجـــل): ترحـــل النهار إرتفع. الدلوك: دلكت الشمس دلوكاً غربت أو مالت ، أو زالت مـــن كبد السماء . وقد ورد في الروايات أنّ دلوك الشمس زوالها. الجنوح : الميـــل لميل الشمس إلى المغرب، ولم أر بهذا المعنى في كتب اللغة . الهجـــير : نصـــف النهار عند الزوال ، أو من عند زوالها إلى العصر . الظهيرة : حَـــدّ إنتصـــاف النهار، وإنّما ذلك في القيظ . وقال الراغب في المفردات : الظهرة وقت الظهر . الأصيل : الوقت بعد العصر إلى المغرب . الطَفَل : بعد العصر. هذا خلاصة ما ذكره الشيخ المجلسي (رحمه الله) . ومن أراد التوسع فعليه بمراجعـــة البحـــار، ج٥٣/ ٥ - ١٠.

٢ - الساعة في الروايات:

ورد لفظ (الساعة) في الروايات، إما إشارة إلى يوم القيامة، أو إلى العبادة، والروايات التي تشير إلى العبادة كثيرة، نذكر منها ، على سبيل المثال ما يلي:

- عن أبي هاشم قال: (قلت لأبي الحسن الماضي (عليه السلام): لم جعلت الصلاة الفريضة والسنة خمسين ركعة لا يزاد فيها ولا ينقص منها ؟ قـــال : إنّ ساعات الليل إثنتا عشرة ساعة ، وفيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشـــمس ساعة ، وساعات النهار إثنتا عشرة ساعة ، فجعل لكل ساعة ركعتين ، وما بين غروب الشمس إلى سقوط القرص غسق)[٩٩].

٩٩ - الصدوق ، الشيخ محمد بن علي : الخصال ،ج٢ / ٤٨٨ .

- ذكر الشيخ البهائي(قدس سره) في (مفتاح الفلاح) هذه الساعات بعنوان آخر كالتالي:

«واعلم أنه قد ورد قسمة النهار إلى إثنتي عشرة ساعة ، ونسبة كل واحدة منها إلى واحد من الأئمة الإثني عشر سلام الله عليهم ، وتخصيصها بدعاء يدعى به فيها، وأنا أذكر كلا منها مع دعائها في محلها إن شاء الله تعالى»[١٠٠].

أقول: الذي يهم بحثنا هذا ؛ هو الإشارة إليها دون أدعيتها كالتالي:

الساعة الأولى: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس؛ وهي لأمير المؤمنين (عليه السلام).

الساعة الثانية : من طلوع الشمس إلى ذهاب حمرتها؛ وهي للحسن (عليه السلام).

الساعة الثالثة : من ذهاب حمرة الشمس إلى إرتفاع النهار؛ وهي للحسين (عليه السلام).

الساعة الرابعة : من إرتفاع النهار إلى الزوال؛ وهي لسيد العابدين (عليه السلام).

الساعة الخامسة : من زوال الشمس إلى مضي مقدار أربع ركعات؛ وهي للباقر (عليه السلام).

---

١٠٠ - البهائي ، الشيخ محمد بن حسين : مفتاح الفلاح /١٣٩ .

الساعة السادسة : من مضي أربع ركعات من الزوال إلى صلاة الظهر؛ وهي للصادق (عليه السلام).

الساعة السابعة : من صلاة الظهر إلى مضي مقدار أربع ركعات قبل العصر؛ وهي للكاظم (عليه السلام).

الساعة الثامنة : من مضي أربع ركعات قبل العصر إلى صلاة العصر؛ وهي للرضا (عليه السلام).

الساعة التاسعة : من صلاة العصر إلى أن تمضي ساعتان؛ وهي للجواد (عليه السلام).

الساعة العاشرة : من ساعتين بعد صلاة العصر إلى قبل إصفرار الشمس؛ وهي للهادي (عليه السلام).

الساعة الحادية عشرة: من قبل إصفرار الشمس إلى إصفرارها؛ وهي للعسكري (عليه السلام).

الساعة الثانية عشرة: من إصفرار الشمس إلى غروبها؛ للخلف الحجة (عليه السلام)»[١٠١].

وبعد عرض ما ذكر عن العرب، وما ذكرته الروايات؛ نخرج بالنتيجة التالية:

١ - قال الشيخ محمد حسين الأعلمي (رحمه الله): «قال السيوطي في الكنز ص١٠١: فائدة في معرفة علم الساعة والدرجة والدقيقة . إعلم أنّ الساعة

---

١٠١ - البهائي ، الشيخ محمد بن حسين : مفتاح الفلاح / ١٣٩-٢٢٦ .

خمس عشرة درجة، والدرجة أربع دقائق، والدقيقة بقدر قراءة سورة الإخلاص ثلاث مرات..»[١٠٢].

٢ - وقال الشيخ المجلسي (قدس سره): «وقد يقسمون كلاً من الليل والنهار في أي وقت كان باثني عشرة ساعة متساوية ؛ ويسمونها بالساعات المعوّجة لإختلاف مقاديرها باختلاف الأيام طولاً وقصراً، بخلاف المستوية؛ فإنّها تختلف أعدادها ولا تختلف مقاديرها ... وتسمى المعوّجة بالساعات الزمانية أيضاً؛ لأنّها نصف سدس زمان النهار أو زمان الليل، وكثير من الأخبار مبنية على هذا الإصطلاح ... وقد تُطلق الساعة في الأخبار على مقدار من أجزاء الليل والنهار مختص بحكم معين ، أو صفة مخصوصة، كساعة ما بين طلوع الفجر والشمس ، وساعة الزوال ، والساعة بعد العصر، وساعة آخر الليل، وأشباه ذلك»[١٠٣].

٣ - قال الشيخ الأعلمي (رحمه الله): «الساعة : الوقت أو الحين من الليل والنهار وإن قَلّ ، وليس المراد الساعة التي ينقسم الليل والنهار على أربعة وعشرين ساعة، كما في الخصال ، ط ١ ح ٢ ص ٣٠ عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال : إنّ ليلة الجمعة ويومها أربع وعشرون ساعة لله تعالى، في كل ساعة منها ألف عتيق من النهار»[١٠٤].

---

١٠٢ - الأعلمي ، الشيخ محمد حسين : دائرة المعارف الشيعية العامة ، ج١٠ / ٢٨٥-٢٨٦ .

١٠٣ - المجلسي ، الشيخ محمد باقر : بحار الأنوار ، ج٥٦ / ١٧ .

١٠٤ - الأعلمي ، الشيخ محمد حسين : دائرة المعارف الشيعية العامة ، ج١٠ / ٢٨٥-٢٨٦ .

إذن، توصلنا مما سبق أنّ ما ورد من الإختلاف في كون غيبة البازي الأشهب؛ ساعة أو وقتاً طويلاً أو قليلاً ونحو ذلك، يرجع إلى عدم الدقة في التوقيت عندهم، وأنّه يختلف عن التوقيت الدقيق المتداول عندنا في العصور المتأخرة.

نتائج البحث:

بعد عرض ودراسة القصة، نستنتج ما يلي:

أولا - قبل نقد أو تضعيف سندها - بلحاظ أنها غريبة، أو خلاف العقل، كما يدعي البعض - لابد من دراسة عناصرها الفنية، كالشخصية والحدث ونحو ذلك؛ لأنّ دراسة هذه العناصر تُبعدنا عن الطعن في القصة، والقول بضعفها جزافاً، مما يؤدي إلى القضاء على الموروث الروائي، وهذه ظاهرة خطيرة لابد من علاجها.

فعلى سبيل المثال، قد يستغرب البعض من صيد البازي السمك في الجوّ! لكن لولا وجود إشارة الإمام الجواد(عليه السلام) إلى ذلك - سواء بحسب الطبيعة أو الإعجاز - ؛ لذكرنا هذه المعلومة الغريبة عن بعض الأسماك الطَيّارة. قال البعلبكي: «السَّمَك الطَيّارة.. : سمك أوقيانوسي يتواجد في المياه الدافئة في مختلف أصقاع العالم. وهو صغير الجرم، يبلغ طوله نحواً من ٤٥ سنتيمتراً، يتميز بأنّ له زعانف شبيهة بالأجنحة، فهو يحلق في الجوّ إلى إرتفاع يبلغ أحياناً عشرة

أمتار ونصف المتر، ثم يتزلق فوق سطح الماء بحركات سريعة من ذيله المنشعب. عِدّة أنواعه أربعون أو يزيد»[١٠٥].

وهناك الكثير من الأسماك لم تُعرف بَعد.

ثانياً - إنّ عالم المعجزات وماوراء الطبيعة، مرتبط بعالم الغيب، لا يخضع لقانون الطبيعة، ففي القصة صغر سن الإمام الجواد (عليه السلام) ليس هو المعجزة في حَدّ ذاته؛ إذ نقرأ ونسمع في هذه الأيام ما يسمى بالمعجزة، فقد ذكرت جريدة اليوم السعودية : «أصغر طالب جامعي في سنغافورة، أعلنت جامعة العلوم التطبيقية في سنغافورة، أنّ طفلاً في الثامنة من عمره أصبح أصغر طالب لديها، من بين الإنجازات التي حققها هذا الطفل المعجزة في مجال الكيمياء - ويُدعى أينان كاولي- إبتكار عطر في عيد الأم، ونقلت مصادر عن فالنتين كاولي والد الطفل قوله : نعتزم إكسابه المهارات الضرورية لأي عالم إنّه سيحضر كل البرامج الدراسية في مجال الكيمياء ، وسيعكف والدا هذا الطفل المعجزة على تعزيز المعارف التي سيلقاها من خلال دراسته الجامعية بدروس إضافية يتلقاها في المترل»[١٠٦].

إذن ، هذا الطفل مع ذكائه الخارق محتاج إلى مواصلة التعلم ، أما إمامنا الجواد (عليه السلام) لا يحتاج إلى كل ذلك، بل يخبر بأسرار السماء الغيبية وهو في هذا العمر.

---

١٠٥ - البعلبكي ، منير : موسوعة المورد العربية ، ج١ / ٦٣٨-٦٣٩ .

١٠٦ - جريد اليوم السعودية – العدد / ١٢٧٥٢ ، الأربعاء ٩ جمادى الأولى ، لعام ١٤٢٩ هـ ص/٣١ .

ثالثاً - إنّ توقيت الإمام الجواد (عليه السلام) في هذا المكان، وليس معه أحد من أعوان المأمون، أو بدون معرفته بذلك، إنّما يسير على مخطط سماوي، لا تتدخل فيه أوامر المأمون ، وليس تحت إرادته ، بل الهدف منه إظهار أمر الإمامة وتنبيه الأمة الإسلامية المعتقدة بخلافة المأمون ، وقد أظهرت هذه القصة الواقع ، وكشفت ما يدعيه.

هذا ما أردنا بحثه ودراسته، من خلال عرض هذه القصة، وما ترتب عليها من نتائج مفيدة، عالجت مجموعة من الإشكالات الواردة عليها، وله الحمد والشكر على ما وفقنا لدراسة هذه القصة ، والخروج بهذه النتيجة المثمرة المفيدة، وصلى الله على محمد وآله الكرام .

مصادر البحث

الحديث ورجاله :

١ - البخاري (٢٥٦هـ): محمد بن إسماعيل، بن إبراهيم

صحيح البخاري - تقديم أحمد محمد شاكر - ، بيروت، دار الجيل، وطبعات أخرى.

٢ - الخزرجي (بعد ٩٢٣هـ): أحمد بن عبدالله الأنصاري

خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، القاهرة، مكتبة القاهرة.

٣ - الصدوق (٣٨١هـ): الشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي

أ - الخصال - تحقيق علي اكبر الغفاري - ، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ١ / ١٤١٠هـ .

ب - عيون أخبار الرضا - تصحيح وتعليق العلامة الشيخ حسين الأعلمي - ، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١/١٤٠٤هـ .

٤ - القسطلاني (٩٢٣هـ): أحمد بن محمد بن أبي بكر

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القاهرة، المطبعة الأميرية، ط٧/١٣٢٣هـ .

٥ - الكليني (٣٢٩هـ): الشيخ محمد بن يعقوب إسحاق الرازي

أصول الكافي - تصحيح علي اكبر الغفاري - ، بيروت، دار صعب، ودار التعارف، ط٣/١٤٠١هـ .

عقيدة ودعاء :

٦ – البهائي (١٠٣٠هـ) : الشيخ بهاء الدين، محمد بن الحسين الحارثي

مفتاح الفلاح، بيروت، دار الأضواء، ط١/ ١٤٠٥هـ .

٧– صبحي ( ) ، أحمد محمود

نظرية الإمامة ، مصر ، دار المعارف ، ط/١٩٦٩ م .

٨ – المرعشي (١٤١١هـ) : السيد شهاب الدين، بن السيد محمود

ملحقات إحقاق الحق، قم المقدسة، نشر مكتبة آية الله المرعشي

اللغة :

٩ – ابن منظور (٧١١هـ) : محمد بن مكرم بن علي الأنصاري

لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط ١ / ١٤١٢هـ .

١٠ – الصعيدي ( ) : عبدالفتاح. وحسين بن يوسف موسى

الإفصاح في فقه اللغة، قم المقدسة، مكتب الإعلام الإسلامي، ط٣/١٤٠٤هـ .

١١ – الطريحي (١٠٨٥هـ): الشيخ فخر الدين بن الشيخ محمد علي

مجمع البحرين – تحقيق احمد الحسيني – ، بيروت، مؤسسة الوفاء، ط٢/١٤٠٣هـ .

١٢ – الفراهيدي (١٧٥هـ): الخليل بن احمد البصري

كتاب العين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ١ / ١٤٢١هـ .

١٣ – معلوف (١٩٤٦م): لويس اليسوعي

المنجد في اللغة، بيروت، دار المشرق، ط ٢١ / ١٩٧٣م.

تاريخ وأعلام :

١٤ – ابن شهر آشوب (٥٨٨هـ): الشيخ رشيد الدين، محمد علي السروي المازندراني

مناقب آل أبي طالب، قم المقدسة، نشر مؤسسة إنتشارات العلامة.

١٥ – ابن طلحة (٦٥٢هـ): الشيخ كمال الدين محمد الشافعي

مطالب السؤول في مناقب آل الرسول- تحقيق ماجد بن احمد العطية – ، بيروت، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، ط ١ / ١٤٢٠هـ .

١٦ – ابن نما (٦٤٥هـ): الشيخ محمد بن جعفر الحلي

مثير الأحزان، بيروت، مؤسسة أهل البيت(عليهم السلام)، ودار الكتاب الإسلامي، ط / ١٤٠٢هـ .

١٧ – الأمين (١٣٧١هـ): السيد محسن بن السيد عبدالكريم العاملي

أعيان الشيعة – حققه وأخرجه واستدرك عليه حسن الأمين – ، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ط / ١٤٠٦هـ ١٤٢٣هـ .

١٨ – البحراني (١١٠٩هـ): السيد هاشم بن السيد سليمان التوبلي

مدينة المعاجز، بيروت، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر، ط/١٤١١هـ .

١٩ – الزركلي (١٣٩٦هـ): خيرالدين بن محمود بن محمد الدمشقي

الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٨ / ١٩٨٩م.

٢٠ – سليمان ( ): كامل

محمد الجواد(عليه السلام) الإمام المعجزة، بيروت، الشركة العالمية للكتاب، ط / ١٩٨٧م – ١٩٨٨م.

٢١ – الطبري (٣١٠هـ): ابوجعفر، محمد بن جرير

تاريخ الأمم والملوك – تحقيق محمد ابوالفضل إبراهيم – ، بيروت، ط٢/١٣٨٧هـ .

٢٢ – الطبسي (معاصر): الشيخ محمد جواد

حياة الإمام الهادي(عليه السلام)، بيروت، دار جواد الأئمة(عليه السلام)، ط ١ / ١٤٢٦هـ .

٢٣ – الطهراني (١٤١٦هـ): السيد محمد الحسين الحسيني

الشمس الطالعة – تعريب السيد عباس نورالدين، وعبدالرحيم مبارك – ، بيروت، دار المحجة البيضاء، ط ١ / ١٤١٧هـ .

٢٤ – العاملي (معاصر): السيد جعفر مرتضى

الحياة السياسية للإمام الجواد(عليه السلام)، بيروت، الدار الإسلامية، ط١/ ١٤٠٥هـ .

٢٥ – القزويني (١٤١٥هـ): السيد محمد كاظم

الإمام الجواد من المهد إلى اللحد، بيروت، مؤسسة البلاغ، ط١/١٤١٨هـ .

٢٦ – القمي (١٣٥٩هـ): الشيخ عباس بن محمد رضا

الأنوار البهية في تاريخ الحجج الإلهية، بيروت، دار الأضواء، ط١/١٤٠٤هـ .

٢٧ - الميلاني (١٣٩٥هـ): السيد محمد هادي الحسيني

قادتنا كيف نعرفهم؟ - بإهتمام السيد محمد علي الميلاني - ، بيروت، مؤسسة أهل البيت(عليهم السلام)، ط ١ / ١٤٠٦هـ .

٢٨ - الأعلمي (١٣٩١هـ): الشيخ محمد حسين بن الشيخ سليمان

دائرة المعارف الشيعية العامة، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ٢ / ١٤١٣هـ .

٢٩ - البعلبكي ( ): منير

موسوعة المورد العربية - إعداد الدكتور رمزي البعلبكي - ، بيروت، دار العلم للملايين، ط ١ / ١٩٩٩م.

٣٠ - الجاحظ (٢٥٥هـ): ابو عثمان، عمرو بن بحر

كتاب الحيوان - تحقيق وشرح عبدالسلام هارون - ، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٣١ - الخليلي (١٣٨٨هـ): محمد بن الشيخ صادق بن الميرزا باقر

من أمالي الإمام الصادق(عليه السلام)، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ٤ / ١٤٠٤هـ .

٣٢ - الدميري (٨٠٨هـ): كمال الدين، محمد بن موسى بن عيسى القاهري

حياة الحيوان الكبرى، بيروت، دار الألباب.

٣٣ – الزير ( ): محمد حسن

القصص في الحديث النبوي ، القاهرة ، دار المطبعة السلفية، ط١/١٣٩٨هـ .

٣٤ – الغروي (معاصر): الشيخ محمد، بن الشيخ محمد إسماعيل القزويني

الأمثال النبوية، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١/١٤٠١هـ .

٣٥ – عبده (١٣٢٣هـ): الشيخ محمد بن حسن خيرالله

شرح نهج البلاغة، بيروت، دار المعرفة.

٣٦ – كاظم (معاصر): الشيخ رسول

حياة الحيوان عند أهل البيت (عليهم السلام)، قم المقدسة، منشورات طليعة النور، ط ١ / ١٤٢٧هـ .

٣٧ – الموسوعة العربية العالمية، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط ٢ / ١٤١٩هـ .

الفهرس

الموضوعات

الصفحة

الإهداء ٣

إشراقة البحث

الموضوع ودوافع إختياره ٧

أهمية البحث ١٢

تساؤلات البحث ١٣

منهج وإسلوب البحث ١٤

البحث الأول

دراسة مصدر رواية القِصّة

١ – عرض المصادر ١٩

أ – مصادر الشيعة الامامية ١٩

ب – مصادر السنة ٢٠

٢ – نتيجة الدراسة ٢١

الأول – الرواية في العقائد ٢٢

الثاني – الرواية في الأحكام الشرعية ٢٣

الثالث – الرواية في التاريخ ٢٣

البحث الثاني

دراسة نَصّ القِصّة

الفصل الأول – عرض النّص بشكل عام

أ – رواية ابن نما الحلي في (مثير الأحزان) ٢٧

ب – رواية ابن شهر آشوب في (مناقب آل أبي طالب) ٢٨

ج – رواية ابن طلحة الشافعي في (مطالب السؤول) ٢٩

نتيجة الدراسة ٣٠

الفصل الثاني – دراسة العناصر الفنية لنصّ القِصّة

توطئة وتمهيد ٣٥

الباب الأول – دراسة الشخصية

١ – الإمام الجواد (عليه السلام) ٣٦

٢ – المأمون العباسي ٣٨

٣ – الصبيان ٤١

– رأي العلامة الطباطبائي في لعب الأئمة (ع) في طفولتهم ٤٣

– مناقشة رأي العلامة الطباطبائي ٤٤

٤ – البازي الأشهب ٤٨

أولا – عند أهل اللغة ٤٨

ثانياً – عند علماء الطبيعة ٥٠

أ – فصيلته ٥٠

ب – أنواعه ٥١

ثالثاً – علاقته بالإنسان ٥٣

أ – قبول الآداب ٥٣

ب – من جوارح الملوك ٥٤

ج – خوف صاحب الباز من العقاب ٥٤

٥ – الدُرّاجَة ٥٤

أولا – عند اللغوين ٥٥

ثانياً – عند علماء الطبيعة ٥٦

أ – فصيلتها ٥٦

ب – بيئتها ٥٧

ج – خصالها وصفاتها ٥٨
د – علاقتها مع الإنسان وغيره ٥٩
٦ – الحَيّة ٥٩
أولا – عند أهل اللغة ٥٩
ثانياً – عند علماء الطبيعة ٦١
أ – فصيلتها ٦١
ب – أنواعها ٦١
ج – بيئتها وطبيعة حياتها ٦٧
١ – بيئتها ٦٧
٢ – تكاثرها ٦٨
٣ – العادات الغذائية ٦٩
٤ – فترة الحياة ٧٠
د – علاقتها مع الإنسان والحيوان ٧٠
٧ – السمكة ٧١
أولا – عند اللغويين ٧٢
ثانياً – عند علماء الطبيعة ٧٢
أ – فصيلتها ٧٢
ب – أنواعها ٧٣
المجموعة الأولى – الأسماك الفكية ٧٤
أسماك القرش والشفنين والكمير ٧٤
الأولى – الأسماك العظمية الحديثة ٧٥
الثانية – الأسماك العظمية البدائية ٧٥
المجموعة الثانية – الأسماك اللافكية ٧٥

ثالثاً – بيئتها وطبيعة حياتها ٧٦
١ — بيئتها ٧٦
٢ — تكاثرها ٧٦
٣ — غذائها ٧٨
٤ – فترة الحياة ٧٨
ج – علاقتها مع الإنسان وغيره ٧٨
١ – علاقة السمك مع بعضه ٧٩
٢ – علاقة السمك مع الإنسان ٨٠
٣ – منافع الأسماك ٨١

الباب الثاني – دراسة الحدث

أولا – وسائل تأثير الحدث ٨٥
١ – عرض الحوادث المثيرة ٨٧
٢ – التنقل السريع في تسلسل الأحداث ٨٨
٣ – تصوير الحدث في نفس القارئ أو السامع ٨٨
أ – بداية القصة ٨٨
ب – وسط القصة ٨٩
– رأي العلامة السيد جعفر العاملي ٨٩
– مناقشة العلامة العاملي ٩٠
ج – نهاية القصة ٩٣
١ — المفاجأة ٩٣
٢ — التفسير ٩٤
٣ – تشخيص المشهد ٩٤
٤ — التفاؤل ٩٥

وقفة تأمل في كلام المأمون ٩٦
٥ — الإنتصار ٩٧
ثانياً – أنواع الحدث ٩٩
١ – أحداث غير مألوفة ١٠١
٢ – خوارق ومعجزات ١٠١

الباب الثالث – دراسة الحوار

أ – طبيعة الحوار ١٠٥
ب – وظائف الحوار ١٠٥
١ – التخفيف من رتابة السرد في القصة ١٠٥
٢ – تطوير الحدث ١٠٦
٣ – المساعدة في رسم الشخصية ١٠٦
٤ – المساعدة على تصوير مواقف مُعيّنة في القصة ١٠٦
٥ – كشف مغزى القِصّة ١٠٧
٦ – إعطاء القِصّة نوعاً من الواقعية ١٠٨
٧ – تعميق الحدث في النفوس ١٠٨

الباب الرابع – دراسة المكان والزمان

أ — المكان ١١١
الأولى – علاقته بالحدث ١١١
الثانية – كونه وعاءً للحدث ١١١
الأول — بغداد ١١١
روايات غريبة يجب التأمل فيها ١١٣
الثاني — الجوّ ١١٥
الأولى – حسب الطبيعة ١١٧

الثانية – حسب الإعجاز ١١٨
١ – قصة سميكات قبر الإمام الرضا (ع) ١١٩
آراء حول ظهور السميكات وغيابها ١٢٠
المحدث الشيخ عباس القمي ١٢٠
٢ – قصة البازي الأبيض ١٢١
وقفة تأمل في قصة (البازي الابيض) ١٢٣

ب – الزمان

توطئة ١٢٧
أولاً – علاقته بالحدث ١٢٧
ثانياً – كونه وعاء للحدث ١٢٧
١ – بعد وفاة أبيه بسنة ١٢٨
٢ – عمره تسع سنوات ١٢٩
٣ – غاب ساعة في الجوّ ١٣٢
١ – الساعة عند العرب ١٣٣
٢ – الساعة في الروايات ١٣٤
نتائج البحث ١٣٨
مصادر البحث ١٤١
الفهرس ١٤٧

almuhammad@hotmail.com
muhammad-almansouri@hotmail.com